أمة تتحدى العالم

إعداد

إبراهيم بن محمد الزبيدي

ماجستير في الفقه

من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقديم

د / ناصر بن سليمان العمر

دار الفضيلة

ح) إبراهيم محمد الزبيدي ، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزبيدي، إبراهيم محمد
امرأة تتحدى العالم/ إبراهيم محمد الزبيدي – الرياض،
١٤٣٢هـ
.. ص ١ .. سم
ردمك: ١-٦٨٣٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١ – المرأة في الإسلام ٢–الأسرة في الإسلام ١. العنوان
ديوي ٢١٩,١ ١٤٣٢/١٣٧٣
رقم الإيداع : ١٤٣٢/١٣٧٣
ردمك : ١-٦٨٣٧-٠٠-٣-٦٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الناشر
دار الفضيلة
الرياض ١١٥٤٣
ص ب ٥١١٤٢
تلفاكس ٤٤٥٤٨١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ناصر بن سليمان العمر
Nasser S. Al Omar

الرقم : ٣٢/٥٢
التاريخ : ١٤٣٢/٢/١٧هـ
المشفوعات :

أخي المبارك الشيخ/ إبراهيم بن محمدالزبيدي **سدده الله**

سلام عليكم ورحمته وبركاته ،،، وبعد

فقد أخذت معي أثناء سفري سفرك الجميل "امرأة تتحدى العالم" واقتنصت ما سمح به وقتي لأقرأ بعض فصول كتابك، واستعرض فصولاً أخرى، فسرني ما أطلعت عليه، ورأيته يفيض جمالاً في المعنى وروعة في الأسلوب، وحسن عرض في الإخراج، عالج المشكلات، وعرض قدوات، ونبه إلى مزالق ومحاذير غفل عنها بعض الآباء والأمهات والأخوة والأخوات.

أشكرك على هذه التحفة، والمجتمع بحاجة إلى سرعة إخراجه ونشره، ليساهم في تنبيه الغافل، وتحذير السادر،و إنقاذ الغريق.

سدد ربي لسانك وقلبك وقلمك، وحفظ أهلك وذريتك بما حرصت أن تحفظ به بنات المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

ناصر بن سليمان العمر

ظهر الجمعة ١٤٣٢/٢/١٧هـ

ص.ب ٩٣٤٠٤ – الرياض ١١٦٨٤ المملكة العربية السعودية – هاتف: ٢٥٤٩٩٩٣ ناسوخ: ٢٥٤٩٩٩٦ البريد الالكتروني: naser@almoslim.net

المقدمة

الحمد لله الذي اضحك وأبكى والذي أمات واحيا والذي خلق الزوجين الذكر والأنثى أحمده سبحانه واشكره وأتوب إليه واستغفره وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فموضوعي اليوم بعنوان امرأة تتحدى العالم يا ترى من هذه امرأة التي استطاعت أن تتحدى العالم؟ من هي المرأة التي تغلبت على ظروف الحياة ومشاغل الدنيا لترتقي هذا المجد، وتنال هذا السبق إنها ليست امرأة من نسج الخيال، لكنها استطاعت أن تكون أعظم مثالٍ، يحكى على مّر الزمان .

امرأة تتحدى العالم في عجب ... دون جُمانٍ أو ألماسٍ أو ذهبِ
بل بالإيمان تعالت وسمتْ ... لتكونَ الأقوى في الدين وفي الأدبِ

لقد تحدت العالم عندما جعل الله لها نصيباً مفروضاً، وجعلها مكلفة بحقوق وواجبات كالرجل، بل أنزل الله سورة باسم امرأة، وأخرى باسم النساء، وفي هذا الجهد القليل أريد أن أبين مكانة المرأة وما وصلت إليه من رفعة القدر في ظل الإسلام العظيم، الذي جعل الميزان بالتقوى فقال تعالى :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وجعلها مطالبة بالتكاليف الشرعية وخفف عنها لما تقوم به من أعمال منزلية وتربوية، وأريد أن أحلق بكم في إشراقية رائعة، تستهوي القارئة والسامعة حول أمور عظيمة رفعت شأن المرأة لتتفيء ظلالها المسلمات الصالحات، ليجدن القدوة الحسنة ويشحذن الهمم بالسير إلى القمم، في سير العظيمات ممن شرف بهن التاريخ، وكتبن أمجادهن بمداد من الصدق على صفحات المجد الخالدة، لتكون حياة عظيمة لكل متأملة، في نماذج يفخر بها هذا الزمان وكل زمان لتجد المعلمة فيها القصة الجميلة لتحدث بها طالباتها، وتجد الأم النموذج العظيم في التربية والأخلاق والقيم لتحكيها لبناتها ويجد كل متصفح متعة الحياة في نماذج الطهر والنقاء والصلاح والصفاء، ممن خَلدّ ذكرهن التاريخ، على صفحات من نور لتزيل ظلام الجهل والفسق، وقد ضمنته أربعة فصول ليسهل على المتصفح الوصول إلى مبتغاه على النحو التالي.

الفصل الأول: إشراقات أمام الفتيات.

الفصل الثاني: قصة التحدي.

الفصل الثالث: أمثله رائعة ومواقف مثيرة.

الفصل الرابع: أفنان وأفنان.

لعل القارئ والقارئة يجد نفسه أمام سيل هادرٍ من المعلومات

والفوائد والإشـــارات، تملئ عليه حياته، وتضيء لـه طريقـه، ليجـــد لمـا يشكو منه علاجًا، ولما يطلبـــه مبتغى، فدونك قنواته فتعلل منها وانغمس في أُنسها وارشف من عذبها وسلـسبيلها، وتنقـل بـين أفيائهـا وزهورهـا وادع لمقتطفها وجامعها ومنسقها، فعليه غرمها ولك غنمها.

والله أسال أن يوفقنا للعمل الصالح المبرور والقول السديد المشكور إنـه هـو الرحيم الغفور وصلى الله وسلم وبارك على البشير النذير والسراج المنـير وعـلى الـه وصحبه أجمعين.

مؤلفه: الفقير إلى ربه الرحيم
إبراهيم بن محمد الزبيدي
أبو عبد الرحمن
ماجستير الفقه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
والمشرف العام على موقع طريق العزة
www.ezzahway.com

الفصل الأول

إشراقات أمام الفتيات

من تكون ؟

إنها تلك المرأة التي علقت قلبها بربها، فعرفت فضله ومنته وجوده وكرمه، فأيقنت بعظمة خالقها، وضعف نفسها فانكسرت نفسها لربها وذلت روحها لبارئها فدخلت من باب الذل والانكسار والإخبات والافتقار، مرددة بكل يقين، سيدَ الاستغفار (اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) فجمعت في قولها (أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي) بين مشاهد المنة لله ومطالعة غيب نفسها وعملها، فدخلت على ربها من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض دخول من كَسَر الفقرُ والمسكنةُ قلبها حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائة فانصدع، وعلم ضرورته إلى ربه وكمال فاقته وفقره إليه، ومن أراد الله بها خيرًا فتح لها باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ إلى العزيز الغفار، فعلمت الموفقة أنه لا طريق إلى الله أقرب من العبودية التي مدارها على قاعدتين هما أصلها: حبٌ كامل وذل تام ومنشأ هاذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين: مشاهدة المنة التي تورث

المحبة الخالصة لله، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام:

وعبادة الرحمن غاية حبـــه مع ذل عابده هما قطبـــان

خاطرة:

تــأملي بتفكــر ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾(١).

---

(١) سورة النساء، الآية : ٣٤.

الأم الأولى

حواء: أم البشر سكنت الجنة دارها الأولى لكن الخطيئة كانت سببًا في خروجها من النعيم فعلمت أنها وقعت في ذنب عظيم، حيث عصتْ ربها الكريم، فجاءت نادمة تائبة مخبتة مستغفرة، تردد مع زوجها آدم ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

فأدركت بفطرتها السليمة أن المعصية شؤم، وصاحبها من الخاسرين لدنياه وأخراه، فأقبلت على طاعة ربها الذي يغفر الذنب ويقبل التوب ويعفو عن السيئات فنالت رضا رب الأرض والسماوات واعتذر الله لزوجها آدم بقوله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[2]. فقوله فنسي كان اعتذرًا من الله له لأن الله تعالى أحبه لكثرة طاعته وإخباته وانكساره لله، بل إن الله تعالى يبتلي عبيده وإمائه أحيانًا بالذنوب والخطايا ليتوب عليهم ويرفع درجاتهم كما فعل بأبديهم حين اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فكان بعد التوبة خيرًا منه قبلها، ونحن أبناء آدم وحواء فعلينا أن نفعل كما فعل أبونا وأمنا، فنتوب ونستغفر الله ونعترف له بتقصيرنا وعجزنا وضعفنا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة طة، الآية: ١١٥.

ونعترف له تعالى بالقوة والقهر والفضل، وهو الجواد الكريم الذي يدعونا للإنابة ويبشرنا بالعفو ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[1].

سبحان من يعفو ونهفو دائمًا ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا لذي الخطا

فبادري أيتها الموفقة، لتنالي السبق وتتحدي العالم حين تكونين قريبة ممن يعلم السر وأخفى فالمؤمنة الصادقة لا يهز وجدانها ذهب ولا فضة ولا بريق الدنيا وزخرفها لأن قلبها معلق بمن له ما في السماوات وما في الأرض وإليه ترجعون، لسان حالها ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[2].

هيفاء لو خطرتْ في عين ذي رمدٍ لما أحس لها من مشيها ألما
خفيفة الروح لو رامت لخفتها رقصًا على الماء ما بلتْ لها قدمًا

همسة:

يكفي لأن تكوني جميلة أن تكوني امرأة.

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٤.

الأنس بالله حياة القلب

أنستْ بقرب ربها ومناجاته ومن أنست بالله جعل الله لها من كل همٍّ فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافية ورزقها من حيث لا تحتسب، بل يجعل لها عزًا من غير جاه وغنىً من غير مال وقوة من غير جماعة ومن كان الله معه فقد أوى إلى ركن شديد، ونال خيراً وفلاحاً ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[١]. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

انظر لمن سطرت مجدًا ليس له مثيل، وتاريخا حافلاً مجيداً، ضربه الله مثلاً للعالم بأسره، بامرأة تحدت العالم في زمانها، لقد غلبت من استخف قومه فأطاعوه، فانصاع لأمرها فلم يقتل موسى عليه السلام، وأعلنت إسلامها بين يديه ولم يستطع أن يردها عن دينها لقد صرخت في وجهه ووجوه أعوانه بكل قوة وإيمان (آمنت برب موسى وهارون) حتى ضرب الله بها مثلا للعالم

(١) سورة المائدة، الآية : ٥٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية : ٢٢.

كله رجالا نساء ليقتدوا بها ويحذوا حذوها في صبرها ويقينها فلما لم يُجْدِ التعذيب، عمدوا إلى أعظم صخرة لتلقى عليها لتفارق الحياة، لكن العجيب أنها لم تكن مع القوم بل مع ربها وخالقها، لقد جعلت كل ذرة من جسمها لربها، فطارت روحها لأعلى مكانة، فنادت ربها الذي خلقها ورباها بنعمة، سائلة قربه، راجية جواره

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، فرأوها تبتسم فظنوا بها جنونًا من التعذيب وما شعروا أنها تبتسم لما ترى من النعيم في جنات عدنٍ، يا الله ما أعظم شأنها وما أقوى إيمانها.ويقينها.

همسات ساحرة:

١- المرأة القوية تغلب الرجال.

٢- الجسد مسخر لخدمة القلب.

٣- إذا امتلأ القلب بالإيمان طفح السرور على المحيا فرحًا بفضل الله.

٤- من توكل على الله كفاه كل شيء.

٥- تكونين قوية وتتحدين العالم عندما يكون همك إرضاء ربك.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

هكذا يصنع الإيمان

هذه امرأة عمران من الصالحات القانتات لله، اشتهت الولد عندما رأت طائراً يضع شيئاً في فم طائر وقد كانت عاقراً، فدعت ربها أن يرزقها بولد، كانت تعيش في بيت كل همّ أهله أن يعبدوا الله، بيت، اصطفى الله أهله واختصهم بفضله، قال الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

فاستجاب دعائها لعلمه بفضلها وصدقها فلما شعرت أنها حامل غمرتها الفرحة الكاملة ليس بالحمل بل باستجابة الله دعاءها عند ذلك نسيت حاجتها وتركت شهوة حب الولد فنذرته لله يكون خادما لبيت المقدس فقالت ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]. إنها حياة العظماء، من يعمل مثلها، لقد تحدت العالم فجعلت رغبتها لربها ونذرت أعزّ ما تملك لخالقها، ولكن المفاجئة أنها لما وضعتْ وضعتها أنثى وكانت تتمنى ابنا ليخدم المسجد الأقصى فاعتذرت إلى ربها قائلة﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

عند ذلك عدلت عما لا تقدر عليه وهو كونه ذكرا أو أنثى إلى ما تقدر عليه وهو التسمية والتعويذ فقالت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(١). ولرحمته بها وعلمه بصدقها استجاب دعوتها وتقبل ابنتها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وجعل كفالتها عند نبيه زكريا عليه السلام زوج أختها ليمنّ بفضله على هذا البيت المبارك ويزيد من بركته على أهل هذا البيت الطيب ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(٢).

همسات ومشاعر:

١- المرأة الصالحة تطلب حاجتها ممن يملكها وهو الله وحده.

٢- حب الأولاد فطرة في المرأة تسعى لتحقيقه وتسعى للزواج لأجله.

٣- المرأة الصالحة تكثر من دعاء الله أن يرزقها الأولاد الصالحين.

٤- يشرع للمرأة أن تعوذ أولادها من الشيطان الرجيم.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

الحب الجميل

جعلت اليقين بما تعلمته من تعاليم الإسلام نبراس حياتها فهي تؤمن يقينًا أن من حفظ الله حفظه الله ومن نسي ذكر الله نسيه الله وأنساه نفسه فأحبت في الله أخواتها المؤمنات وزارتهن في الله لعلمها أن الله يرصد لها ملكا يقول لها إن الله أحبك كما أحببت المؤمنات فيه وقد كتب لَكُنّ الجنة، إنه الحب، قوة إيمانية قوية تتحدى كل القوى، فإذا أحب أهل الأهواء أهواءهم، وهل الشهوات شهواتهم، أحبت المؤمنة ربها، وما يقرب إليه فعلمت أن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فأحبت لله واجتمعت لأجله بأخواتها الصالحات، لأنها مؤمنة أن الله ينادي يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي، فتقدم المؤمنة الصادقة المحبة لأخواتها المؤمنات، لتنال هذا التكريم والتبجيل من الله، فيا سعادة المؤمنات الصالحات، بهذا الفضل من رب الأرض والسماوات، موقنة أن كمال الإيمان بالحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله، والمعاداة في الله موقنة بقول رسول الله (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ومنها... أن يحب المرء ما لا يحبه إلا لله)[1].

ففوزي بجنات النعيم كريمة ... لتحظي بخيرِ نعيم في جوار محمدِ

---

(١) أخرجه البخاري بكتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١/ ٧.

ومضـــــه:

حب غير الله خيال لا حقيقة له، وعشق الهـوى خبيـث، ومـن أحبـت للهوى والشهوة ، حكمت على نفسها بالموت وهي لا تزال بين الأحياء.

شعارها الله أكبر

لما استشعرت المؤمنة هذه الكلمة (الله اكبر) أيقنت أن الله أكبر من كل شيء فلما علمتْ أنها أول كلمة أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم حين قال الله له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾[1].

علمت أن الأمر عظيم فاستعلت على شهواتها وأهوائها، فأقامت الصلاة بخشوع وذل وانكسار، موقنة بأن الله الكبير المتعال، يرى العمل ويعلم الحال، فتركت بهارِجَ الدنيا فلم تغرها الأموال ولا الشهوات وجعلت حياتها طاعة لرب الأرض والسماوات، فأصبحت حياتها لله فتبتسم للمآسي، مؤمنة أن مع العسر يسرًا، وتفرح بفضل الله ورحمته لأن ذلك من رضاء الله فجعلت الفرح والحزن والحياة والموت كلها لله رب العالمين، فنالت السعادة في الدنيا، وستنالها في الآخرة، لأن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، إنها سعادة الإيمان والفرح بفضل الرحمن وتلاوة القران والصدق مع الواحد المنان ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾[2].

هنيئا لك أيتها الغالية عندما تحديت العالم بيقينك وبإيمانك بأن الله

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٣.

اكبر، الله اكبر من جموع الأعداء ومن حِيَلِ أصحاب الأهواء ومن دسائس الخبثاء﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[1].

الله أكبر زلزلـت أهواءهـم | الله أكـبر قـوةً وثباتـا

همسة :

امرأة عاقلة سكن بها زوجها في قرية سوء، كان أهلها يعملون السيئات، فقالت لزوجها إن أهل هذه البلدة أهل سوء، وأريد أن ننقل من هنا حفاظا على أنفسنا، فقال زوجها إني أثق فيك ولا يمكن أن يتسلل الشك إلى قلبي، فقالت له إن المؤمنة لا تأمن على نفسها الفتنة، فلما لم يستمع لكلامها قالت له أحفر حفرة وضع بها هذه الخشبة وكل يوم وأنت ذاهب لعملك حركها بيدك ففعل، وفي يوم من الأيام وهو يحرك الخشبة قلعت في يده، فنظرت إليه زوجته وقالت كذلك المرأة، قد تستجيب لداعي الهوى إلا إذا جعلت بينها وبينه حجابا ساترًا .

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

مربية الأجيال

لقد تحدت العالم عندما أجهدت نفسها وأتعبت جسدها لأجل تربية أبنائها تلمح هذا جليًا عندما تنظر كيف ربط القرآن المرأة بابنها ورعايته من مولده إذ يقول الباري سبحانه:

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(١)].

وجاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤكد هذا المعنى: (والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)[(٢)].

وقد امتدح النبي ﷺ نساء قريش معللاً فضلهن على غيرهن بأنهن (خير نساء ركبن الإبل أحناه على أولادهن)[(٣)]. فالمرأة التي تترك أولادها للخدم أو السائقين أو الشارع إنما ترمي في الهاوية بمستقبلها ومستقبل أبنائها بل

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣٣.

(٢) أخرج البخاري كتاب النكاح باب المرأة راعية في بيت زوجها رقم ٢٣٦٨.

(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح باب أي النساء خير.

مستقبل القيم الإنسانية، ورحم الله شاعر النيل عندما قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

يقول أحد الأوربيين (الأم تهز الطفل بيمينها فتشل عروشها بشمالها).

فالطفل يتعلم من الأم لغة قومه، فالمرأة التي تتحدى العالم هي تلك التي تحب لغيرها ما تحب لنفسها تشوقا لمرضاة الله ، وإيثارًا لما عنده، فتورث أبناءها هذه الصفة ليبنوا جيل المستقبل، هي تلك التي تخدم زوجها، وتقدّر أهل الفضيلة والدين، وتتحاشى الرذيلة وتنفر منها، فتورث هذه الأخلاق الفاضلة أبناءها وبناتها، فيشّبُّون على الفضيلة، وتزرع فيهم حب النظافة في سلوكهم ولباسهم ليكونوا على أفضل صفات المكارم، من أجل ذلك كان رضا الله في رضاها، لقد أعطاها الإسلام من الأحكام ما يناسب فطرتها، فأباح لها الفطر إذا كانت حاملا أو مرضعاً لأنها شعرت أنها معهد التربية الأول.

حلول في مجال التربية

١- أن تغرس في قلب طفلها حب الله ودينه ورسوله مع الحليب الذي ترضعه.

٢- كل ما شّب علمته مراقبة الله وكيف يخشاه وحفظته حديث ابن عباس (احفظ الله يحفظك)[1].

---

(١) أخرجه الترمذي بجامعه رقم الحديث ٢٥١٦.

٣- إذا لاحظت تغّير أخلاقه وتصرفاته حاولت معرفة مشاكله وساعدته على تجاوزها.

٤- تتعاون مع المناشط الدعوية المجاورة (المسجد + حلقات التحفيظ + دروس العلم)للرقي بمستوى ولدها.

المرأة الاقتصادية

لقد تحدت العالم في اقتصادها، بحسن التدبير والقصد، فهو روح المعاملة ودعامة الحياة السعيدة، وهو الوسط بين الإفراط والتفريط، وقد أمر الله به ونهى عن الإسراف والتقتير حيث قال وجلَّ وعلا ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[(١)].

وقال الرسولﷺ(وأسالك القصد في الفقر والغنى)[(٢)].

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (إني لأ بغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يومٍ واحد).

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (حسن التقدير نصف الكسب وهو نصف المعيشة).

وقال أبو حنيفة رحمه الله (لا خير فيمن لا يحفظ ماله، ليصون به عرضه، ويصل به رحمه، ويستغني به عن لئام الناس).

وربة المنزل هي المكفلة بتدبير شؤونه، ولا يغني الرجل كسبه شيئا إذا لم تقتصد زوجته، وإذا لم تكن الزوجة مقتصدة فقد عرضت حياتها وحياة زوجها للشقاء والبلاء.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ١٧٦٠٥.

فالمرأة تتحدى العالم حين تعلم أنها يجب أن تستخدم ما لديها من مال أو وقت في خير الطرق، وليس الاقتصاد معرفة استخدام الدراهم والدنانير فحسب، بل يشمل الترتيب والتنظيم والعمل والعناية بكل أمور المنزل.

فالملابس التي يُعنى بها، تطول مدة استعمالها ، والأثاث الذي يتعهد بالتنظيف وحسن الترتيب لا يبلى سرعًا...

أما الزوجة المسرفة فهي عدوة لنفسها ونكبة على زوجها، تهلك بيدها ثمرة أعماله، وكم من امرأة هدمت بيتها بسوء تصرفها، وكم من سيدة أحيت موات منزلها بحسن تدبيرها، لذا أوصت الحكيمة ابنتها بقولها (لا تكلفي زوجك إلا ما يطيق وارفعيه بيدك وتدبيرك عن مواطن الضعف والضيق، فحمل الصخور أخف من ثقل الديون:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... تدبره ضاعت مصالح داره

فالموقفة تدرك أن أحلام المرأة لا تقف على غلاء ملابسها، وكثرة حليها وجواهرها، بل على جميل خصالها وحسن سمعتها واقتصادها.

وعاجز الرأي مضياع لفرصته ... حتى إذا فات أمر عاتب القدرَ

جربي: التجربة خير برهان:

تنظيم ميزانية الأسرة

- وضع رقم حساب خاص بترك مبلغ معين ولو ثلث الراتب لا يأخذ منه شيئا ولو أخذ رده الشهر المقبل.

طلبت مرة من أحد الفضلاء أن يعينني بميزانية مقترحة فكتب لي تجربته الخاصة في توزيع الراتب الشهري منذ ما يزيد على العشرين عامًا وكان ذلك على النحو الآتي:

مثال:

إذا كان أحد الموظفين يستلم راتبا وقدره ١٠.٠٠٠ عشرة آلاف ريال فسيكون التوزيع على شكل صناديق.

١- صندوق الزوجة والأولاد.

٢- صندوق المصروفات الأساسية.

٣- صندوق الطوارئ.

٤- صندوق التوفير والادخار.

أولا: صندوق الزوجة والأولاد:

لا يقل أن يخصص له مبلغ ١٥٠٠ ألف وخمس مئة ريال ١[illegible]٪.

ثانيا: صندوق المصروفات الأساسية:

وهذا يخصص له مبلغ ٥٠٠٠ ريال (لا يزيد عن ذلك قدر المستطاع) ٥٠٪ (فواتير كهرباء - هاتف - ماء) + أغراض البيت + ما يتعلق بالسيارة + إيجار منزل)

ثالثا: صندوق الطوارئ:

مثال: (شراء هدية لشخص عزيز لديك - مساعدة أحد الأقارب -

ظرف طارئ خاص بك) يخصص له مبلغ لا يقل عن ١٠٠٠ ريال شهريا ١٠٪.

رابعا: صندوق التوفير والادخار:

ما تبقى من الراتب هو الذي سيخصص للتوفير وغالبا ما يكون ٢٠٪ أي ٢٠٠٠ ريال.

الباقي ٥٪ ما يعادل ٥٠٠ ريال فيدخل في بند النثريات.

ملاحظة :

لا بأس إن حصل فائض في أحد الصناديق أن يؤخذ منه ويضاف إلى الأهم فالأهم.

معًا نرتقي:

التخطيط الناجح يحدد أهدافًا تحمل طابع التحدي.

(حور مقصورات في الخيام ... ميزة ما أعظمها)

آية تلفت الانتباه ، حينما يتأمل العاقل فيها فيشغل فكره ويحرك ذهنه ليقول الجنة التي ليس فيها ممنوع ولا صاحب نفس أمارة بالسوء ولم يكن بها شيطان مريد يكون من وصف الحور فيها أنهن مقصورات في الخيام؟ وكأن قصر الحورية داخل الخيمة (وهي من لؤلؤة مجوفة) من ضمن محسنات المرأة الحورية التي كل ما يحيط بها يدعو للنعيم.

فكرتُ قليلا ثم قلت سبحان الله كيف تكون الحورية مقصورة في الخيمة؟ وهل في الجنة أسواق بها شباب يعاكسون النساء حتى يقصرن في الخيام؟ هل بالجنة رجال يخطر على بالهم نظرة السوء؟ هل الحورية تقصر في الخيمة لأنه يخشى عليها من نظرات الأعين القاصدة الجائعة؟ كل ذلك غير وارد ولا يخطر بالبال.

إذن لماذا تكون الحورية مقصورة في الخيمة ويمتدحها على ذلك القرآن؟

إن الحقيقة التي لا تقبل الجدل أن مكان المرأة الطبيعي في بيتها وأن جمال المرأة الحقيقي في عفتها وسترها وبُعْدِها عن الرجال بل إن هذه الميزة من أهم ما يُسْعد الرجال ذوي الرجولة الكاملة، ولما كانت الجنة دار السعادة والهناء المطلق كانت الحورية مقصورة في الخيمة ، لزيادة المتعة في دار السلام.

حتى العرب قبل أن تغزو بعضهم أوضار المدنية الزائفة كانوا يمتدحون

ذوات الخدور وكـانوا يعتـبرون حـسب مفهـومهم الـصافي أن مـن زينـة الفتـاة الكاعب الحسناء بقاءها داخل خدرها ولا يسعد برؤيتها إلا زوجها ليلة الزفاف.

فكانت العروس كاللؤلؤة التي تغطيها الصدفة ولا تخـرج منهـا إلا إلى علبة الحلي في محل الصائغ ثم إلى الحقيبة المفضلة في تسريحة الحسناء.

وأنتِ التـــي حببت كـلّ قصيرة　　إليّ وما تـدري بـــذاك القصـــائرُ
عنيتُ قصيرات الحجال ولـم أردْ　　قصارَ الخطى شر النساء البحائـر

خاطرة:

فكري في غير المألوف تكوني مبدعة.

(أجل.... وليس الذكر كالأنثى)

لم تكن أم مريم عليها السلام تقول ذلك لأنها تكره الأنثى كما هو الحال في الجاهلية، وإنما كانت تتوقع ذكرًا يؤدي الغرض الذي نذرت ما في بطنها من أجله، وهو الخدمة في بيت المقدس، لقد كانت صادقة في قولها الذي صدر من فطرة سليمة لم تغزها انحرافات الجاهلية المفروضة لتأكد لكل من أراد أن يجعل الذكر كالأنثى بكل حال، بدعوى المساواة إنما هم يصادمون الفطرة السليمة، ويحاولون إعطاء القُمري مخالب النسر، أو إعطاء (المها) عيون الأسد ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1]. عبارة من المفروض أن نكتبها اليوم بأحرف من النيون ونعلقها على مداخل التحرير في كل صحيفة في العالم الإسلامي، تحاولُ خُبثًا أن تجعل المرأة كالرجل في كل شيء، تبرزها على شاشات القنوات وصفحات المجلات ليراها أصحاب الشهوات، لأن الفطرة السليمة الخالية من المكائد الشهوانية توحي لصاحبها بأن الذكر خلاف الأنثى وإن كانا مجتمعين في الآدمية والإنسانية والتكريم والتكليف، لكن كفّ الأنثى وقد تعود الخضاب، وجيد الأنثى وهو يَحِنُّ إلى العقود المتلألئة، وأصابع الأنثى وهي تستعد للخواتم الذهبية ، كل ذلك

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

يؤكد ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[1]. عواطف الأنثى الجياشة، أنوثتها السيالة، دموعها المنهمره لأتفه الأسباب، قلبها المملوء بالحنان الذي يرفرف لأي حدث،.. عيناها اللتان لا تستريحان إلا لسواد الكحل، بشرتها التي لا تتحمل تيار الهواء، كل ذلك يؤكد ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[2]. فهل يستحي من مغالطة هذه الحقائق أقوام وهبوا أنفسهم للتغرير بالجوهرة المكنونة، في محاولة لقذفها في أتون الخشونة ومضارب الرجال.

خدعوها بقولهم حسناءُ   والغواني يغرهن الثناء

إنّ فَقْدَ الأنوثة بمعناه المطلوب أصعب على الرجال العقلاء من فَقْدِ المال.

كما قال أحد العقلاء:

أبيع عرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العرض بالمالِ

وصدق الله العظيم ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[3].

أما الخبثاء فيحاولون مكرًا وخداعًا أن يسووا بين الجنسين وهم يقرأون قول أصدق القائلين:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

همسة:

لتكن خطاكِ في طريق الخير على رمل، كي لا يُسمع لها وقع، لكن آثارها باقية.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

ينادون بحقوقها وهم يعلمون الحقيقة

ينادون بحقوقها وهم يعلمون أنها غير مهضومة الحقوق في الإسلام، بل تتمتع بكامل حقوقها، لكنهم بكلماتهم يخدمون رغباتهم ونزواتهم مع ذلك يريدونها أن تقاسمهم أعباء الحياة لأنهم فتحوا أعينهم وشاهدوا الانفتاح المجنون، الذي تعيشه المرأة مع الرجل، وذلك الاندماج المحموم الغير أخلاقي، الذي يعيشه الرجل مع المرأة في بعض المجتمعات المنحلة، وتبادر لهم بريق الصورة ولمعانها فأرادوا بدون تفكير وبدون إمعان وأمانة نقل الصورة بكاملها إلى مجتمعهم وأمتهم الإسلامية، ناسين بل متناسين الأخطاء والأخطار الجسام، والمشاكل العظام، التي يجرها ذلك الوضع المتردي على أمتهم ومجتمعهم، ونسوا حين أعماهم حب التقليد وخدرهم مفعول المتعة العاجلة عن إدارك أن مجتمعهم وأمتهم أعزّ عليهم من عواطفهم وشهواتهم، فمجتمعهم يضم أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم ونساءهم في جانب، ويضم أبناءهم وإخوانهم في جانب آخر، لقد أسكرتهم المتعة الزائفة عن التفكير الجاد في المستقبل، وماذا يجره الاختلاط تحت شعار حقوق المرأة... لقد تناسوا مع كل أسف وتعاموا عند تلك الصيحات المتألمة التي تصدر عن بعض أبناء المجتمعات الأخرى، الذي خرج الأمر عن

أيـديهم، وأصـبحوا يعيـشون الإباحـة المنكـرة دون أن يـستطيعوا فعـل شي يحفظون به ما بقي من ماء وجوههم إن بقي فيها ماء الحياء.

فلا ترى إلا واضعًا كفَّ حائرٍ　　　　على ذقنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

وقفة:

الذنوب جراح وربَّ جرح وقع في مقتل.

دور هـــام

دور المرأة الطبيعي في الحياة، دور هام، وليس من حـق أي شـخص أن يقلل من شأنه، فهو دور يتفق مع طبعها الأنثوي، إنها مخلوقة بوضـع خـاص يختلف عن وضع الرجل، ودورها في الحياة خاص يختلف عن دور الرجـل، فالمطالبون بأن تخرج المرأة لدائرة عمل الرجل، هم في الحقيقـة يطـالبون مـن حيث لا يشعرون بإجراء تعديل على تركيبها العضوي، فلـيس مـن المعقـول ولا من الإنصاف أن نقحم المرأة في دور يختلف عن طبيعتها الأنثوية فعنـدما نضعها مثلا في وظيفة جندي المرور، نكون بحق جنينا عليها، وحملناها فـوق طاقتها، بصورة تخالف فطرتها. لم يهيئ الله المرأة لكي تقف في الـشمس فـترة طويلة تنظم السير، فتحرق جـسدها اللطيـف بالـشمس، وتجهـد مـشاعرها الشفافة... ليس من مهمة المرأة أن تجلس في المتّجَـر تعـرض الأزيـاء، ولا أن تجلس على مكتب رسمي تعالج القضايا وتبحث الأمور وتدَرُس المعاملات، وليس من مهمتها أن تمشي في صالات المطارات تكنس وتنظف، بل كل هـذا لا يتفق مع طبيعتها وخلقها العاطفي لأن المـرأة زجاجـة لامعـة، لـيس مـن العدل ولا من الإنصاف وضعها في مناطق تُعَرّض فيها للكسر والتحطـيم، بل مكانها الطبيعي مملكة صـغيرة، ذات كيـان كبـير، فـأي شـخص حـاول إخراجها من مملكتها، فإنما يقصد القضاء عليها حسيا ومعنويا، كالزهرة التي إذا قطفت من الشجرة فإن مصيرها الذبول والأفول والموت.

همسة:

توقفي عن فعل ما لا يليق بك. قبل أن يصير عادة يصعب تركها.

عطاء على كاهل المرأة

كل التجارب التي يقولون فيها بأن المرأة نجحت فيها مع الرجل، واستطاعت العطاء والبناء، كانت في الحقيقة على كاهل المرأة وكرامتها، وأوضحت خلفياتها آلامًا ودمارًا أخلاقيًا يجنيه الخلف والأجيال.

لو نظرنا لأوروبا وما وصلت إليه في نهاية المطاف ماذا كان مصيرهم؟

لا تنظر إلى الصورة المنمقة الظاهرة، ولكن انظر لأغوار القضية وجوانبها الاجتماعية والأخلاقية والنفسية.

هل تلك الصورة الحاصلة في المجتمع الأوربي صور ترضي العقلاء؟

هل حياتهم البهيمية الخالية من المعاني السامية حياة يقبلها أحفاد الصحابة الكرام، المكرمين والمزكين بخير أمة أخرجت للناس.

هل تلك الصورة البراقة تمثل الأصالة والأمجاد؟

إننا لا ننكر أبدًا أن الأمم والأجيال النامية تستفيد من الاحتكاك بالأمم الأخرى لكن هذه الاستفادة ينبغي أن تكون بمفهومين:

مفهوم مباشر وهو أخذ الصالح والاستفادة من الجيد والمفيد..

مفهوم عكسي وهو الاستفادة من تجارب الآخرين وعدم الوقوع في أخطائهم وهذا هو مفهوم أمتنا العريقة بأصالتها التاريخية السامية فلماذا نترك النسور ونتبع البغاث...

نعم لقد ضحكوا على ضعاف النفوس، وأغروا ربات الخدور فأخرجوا الغالية من بيتها بالوعود الكاذبة، والكلام المعسول والتمدن

والحضارة فلما خرجت ابتذلوها وطعنوها مع الخلف، تحت شعار التحرر والمطالبة بالحقوق ، فأصبحت المرأة سكرتيرة وجندي في المرور وعاملة نظافة...

إذن ما أخرجوها من مكانها الوثير لمكان أفضل منه بل أخرجوها ليحطموها ويقضوا على حياتها...

فقد خرجت من العمل في بيتها وخدمة زوجها وولدها إلى خدمة الغرباء وخفافيش الظلام وذئاب الأعراض. وما لجرح بميتٍ إيلامُ.

خاطرة:

اعترافات بعض الغربيات:

تقول إحداهن: وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي.

وتقول الأخر: قبلْ إسلامي كنتُ لا شيء، والأجدر باسمي - قبل إسلامي- أن يكون "لا شيء".

تقول الثالثة: المرأة الغربية ليست متحررة كما تتوهم المسلمة.

تقول الرابعة: أُحسُّ في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي.

تقول الخامسة: حياتي بدأتْ عندما أسلمت، وسنواتُ عمري الماضية لا قيمة لها.

تقرير: ٤٠٪ من الأمريكيات يرفض الحياة الزوجية في غير الإسلام.

خادمة في ثوب عروس

وضعوها مضيفة في الطائرة، وظنوا أنهم كرموها، تهكمًا وخديعة، لا تقل وقاحة عما سلف، إنها عملية خدمة لا تزيد في هيكلها العام عن وضعها في المطبخ لكن اللسان المعسول قال:

إنها خدمة إنسانية وعملية إثراء للخطوط الجوية في الدول، لتكون في وضع يستقطب عددًا كبيرًا من المسافرين، فهذا في الواقع هدف مادي بحت، وفي نفس الوقت هو طلاء جميل يدهنون به القفص ليسهل الاصطياد لأن حقيقة الأمر أن المرأة في مجال المضيفة ليست إلا خادمة ترتدي ثوب عروس ومع هذا فهي مستخدمة في هذا المجال استخدامًا آليا...

حتى الابتسامة التي تبتسمها مصنعة كصورة مبتذلة تقلل من أهميتها وأنوثتها كجنس لطيف له رغباته وأحاسيسه، وأبشع منه حين جعلوها عملة لترويج البضائع فجعلوا من جمالها وأنوثتها إعلانًا على أكثر البضائع في الأسواق وشاشات القنوات، لكن الفاجعة أن ترضخ ربة الخدر إلى غوغاء الغواة ونعيق البغاة وترى الحقيقة ماثلة بين يديها، وربها إلى التوبة والعز والشرف يناديها فلا تجيب وأصبح حالها:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

فيا من تريدين أن تتحدي العالم أفيقي، من السبات العميق.

يا راقداً زلزلت مثـــواه شـــكوانا   هلّا أفقت على شـــكوى ســـبايانا
ورب نائمة تبكي وقـــد فقـــدتْ   قلبًا وأصبح منها القلـــب جُثمانـــا
ذا حالنا مُذّ نسينا الله فانزلقـــت   أقدامنـــا واســـتحت منا مطايانـــا
إني وقومي كمن يسقـــي بأدمعـــه   رمل الفيافي فيقضي العمر عطشانـــا
ما غيّر الله بين النـــاس نعمتـــه   حتى يغيرها الإنســـانُ كفـــرانا

إشـارة:

أيتها المهرولة دومًا... أبطئي لعل بعض ما فاتك من خيرٍ أن يدركك.

بائعة فانٍ بباقٍ

لقد تحدت العالم بيقين كالجبال، وثبات كالخيال، لسان حالها: من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة سكن النار، ومن خان حي على الصلاة يخون حي على الفلاح، فنظرتَ نظرة العاقلة الحصيفة فاستقصرت عمر الدنيا فرفضتها، واستطالة مدة الآخرة فسعت لها سعيها، باعت دارًا لا يدوم نعيمها، ولا تتصرم همومها، فخشيت أن يبطل الحق وتعطل الحدود وتقوى كلمة الشيطان ويظهر الظالمون، فاختارت المنايا، دون الرزايا، ثقة بخالقها ورجاء في ثوابه، مستشعرة بين جوانحها ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[1].

إليكَ وإلا لا تُشّد الركائبُ ومنك وإلا فالمؤمل خائبُ
وفيك وإلا فالغرام مضّيعٌ وعنك وإلا فالمحدث كاذبُ

وقفة تأمل :

راقبي نفسك... في الخلوة وعند الغضب ووقت الحاجة.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

رفعت شعار أتحدى العالم

عندما شعرت أنها أم، فأصبحت نهرًا فياضا بالحب والحنان، ينبع خيرًا وبركة، بما يفيض به من تضحيات عظيمة، واجتهادات هائلة، و عطاءات بنّاءة وإليك بعضها:

١- تقوم قبل أذان الفجر فتصلي ما قُدّر لها ثم ترفع يديها إلى الله مستغفرة داعية بالتوفيق والفلاح لها ولأسرتها.

٢- توقظ زوجها وأولادها لصلاة الفجر، حريصة على حفظ أوقات أولادها وحثهم على إحسان الوضوء وتلاوة القرآن.

٣- تنضّم حلقة ودرسًا تدعو إليه أفراد أسرتها.

٤- تُعّد الطعام والشراب لأفراد أسرتها وتدرب بناتها على معاونتها وإعداد الوجبات الغذائية وشؤون المطبخ وهي بذلك تُعِّدهن زوجات ناجحات في المستقبل.

٥- تحرص على نظافة بيتها وأولادها وأثاث منزلها وتجعل من البيت بستانا جميلاً يفوح عبيرًا وعطرًا.

٦- ممرضة الأسرة تقدم الإسعافات الأولية اللازمة، فقراءة الرقية الشرعية عندما يصاب أحد بمرض أو إعطائه بعض الأدوية الخفيفة كالمسكنات مثلا مع المتابعة الشديدة لأوقات إعطاء الدواء حسب تعليمات الطبيب

ولا تبقى مكتوفة اليدين.

٧- توقظ أولادها في أوقات المدرسة وتُعّد لهم الفطور وتساعدهم على ارتداء ملابسهم وتسألهم عن يومهم الدراسي.

ومضـــة:

لو علمت طفلك سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وعمره ثلاث سنوات أو أقل وحفظها ثم توفاك الله فإن هذا الطفل يظل يقرأها وإذا بلغ صلى بها وعند الصباح والمساء وقبل النوم وبعد الصلوات المكتوبة يقرأها وربما علمها غيره فيأتيك أجرهم وأنتِ في ظلمات القبر لتجدي نورًا أنت في أشّد الحاجة إليه.

(فالقيادة الناجحة تحريك الآخرين نحو الهدف).

فكري بعقل

ألم تقرئي أيتها الطموحة قول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[3]. فلقد غفل أولئك وتنبهتِ أنت وغيرك ممن فتح الله عليهم، وذلك فضل الله يأتيه من يشاء.

والزهرة هذه التي رأيتها، ليست إلا نقطة صغيرة، من بحر زاخرٍ بالنسبة لما في هذا الكون من الآيات والعجائب، المُبْصَرَة والمبصِرة، فما رأيته

(١) سورة الحج، الآية ٤٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة يوسف، الآية:

في الزهرة أراه أنا في كل شيء.. فالأرض بما فيها من وهاد وجبال، وحزون وسهول تكون في فترة ما مجدبة قاحلة، لا أثر فيها، وكأنها إنسان ذهب عنه الشباب، فشحب لونه ، وتجعدت أطرافه، وعلاه الشيب، وما هي إلا فترة قصيرة، فإذا بالسحاب الثقال الذي يحمل الماء العذب، ينتقل إليها من مسافات بعيدة، فينزل الغيث العميم، فإذا الحال تنعكس ، فتدب الحياة في الأرض ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. فمن خلق السحاب وحركه، ومن أوجد فيه الماء العذب الزلال، بهذه الكميات الهائلة، ومن أرسله إلى تلك الأرض المجدبة، ثم أنزل منه الماء بقدر معلوم؟؟

إشراقة:

فوا عجبًا كيف يعصـــي الإله ... أم كيف يجحـــده الجاحـــدُ
ولله في كـــل تحـــريـــكةٍ ... وتسكينـــةٍ أبـــدًا شـــاهـــدُ
وفي كـــل شـــيءٍ له آيـــةٌ ... تـــدّل علـــى أنه واحـــدُ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

في الكون آيات وعجائب

وإذا كانت عملية الأمطار تتم حسب السُّنةِ الكونية، التي أوجدها الله نتيجة الرياح، وعوامل الطقس في الجو، ومرور الرياح على البحار، فمن أرسل الرياح، وتحكم في قوتها، ومن أوجد الأجواء الحارة والباردة، ومن أمسك السحاب الثقال في السماء، إن التعليل العلمي لهطول الأمطار لا يزيد المؤمنة إلا إيمانا إذ أن لكل شيء سنة وسببًا.. فليس أبدًا للمؤمنة التي تعلم شيئا من العلوم الكونية إلا أن تُسَرّ وتبتهج، فما كان بالأمس مجهولاً أصبح اليوم معلومًا، وهذا فضل الله الذي عَلّمَ بالقلم عَلمّ الإنسان ما لم يعلم.

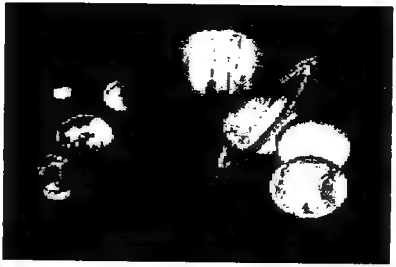

إن القمر ذلك الكوكب المنير، كان بالأمس جسمًا يسبح في الفضاء، ولم يدر أحد هل هو كتلة من نور تسبح أم قطعة من زجاج تلمع، جاء العلم الحديث فاكتشف محتواه الظاهر، وأدرك شيئا عنه فعرف المؤمنون والكافرون أن القمر عبارة عن جبال وتلال تسبح بمجموعها في الفضاء، وتدور بعامل الجاذبية مستمدة ضوءها من الشمس، فازداد المؤمن وحده إيمانا بعظمة الله، وقال بكل اعتزاز لا إله إلا الله ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

كل ما في الكون جدير بالانتباه ، ولذا قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[١]. ولذا فالقرآن دائمًا يُركّزُ على العقل واللب، ويدعو الناس إلى التفكر، فالعقلاء الحاذقون يتأملون في بديع صنع الله ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢].

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.

ما أعظم الخالق

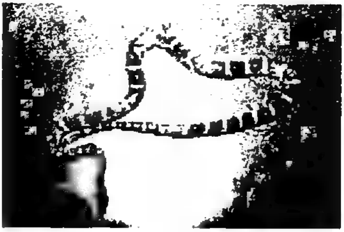

انظري يا عظيمة الفكر إلى الأفعى، كيف خلقها الله في هـذا الوجـود، وأوجد فيها الشر، وفيها السم القاتل والداء الفتاك، انظري إلى العقرب وقـد خلقها الله وأوجد فيها عداوة وشراسة، في حين أنـه تعـالى خلـق العـصفور وخلق في قلبها الحنان والعطف، لكي ترحم فراخها، وتحنو عليهم كـما تحنـو الأم على وليدها مـن بنـي الإنـسان، فهـذا الاخـتلاف في المخلوقـات في آن واحد، يدل على الحكمة البالغة من تقدير العزيز العليم، فلم تعرف العقـرب والأفعى حنانًا، كما لم يعرف العصفور أذى أو حقدًا فلو كانت الأمور هكـذا اعتباطًا وكان الكون وما فيه عن طريق المصادفة، لمـا كـان أبـدًا هـذا النظـام مستمرًا طوال الدهر، فالمصادفة كما يقول بها الملحدون لابد أنها تخطيء ومـا سميت مصادفة إلا لأنها تصادف أحيانـا، ولـو كـان الأمـر كـذلك لوجـدنا عقربا تحنو وعصفورا يؤذي بحكـم الصدفة.

فالعقرب لم تلد في يوم من الأيام إلا عقربًا والناقة لم تلد إلا جملاً أو ناقة، ولو كان الأمر من غير موجد خبير لأمكن للنحلة أن تخرج سمًا، وللأفعى أن تخرج عسلاً مصفى.

وإذا ترى الثعبان ينفث سُمَّهُ فأساله من ذا بالسموم حشاكا
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السُمُّ يملأ فاكا
فالحمد لله الكريم لذاته حمدًا وليس لواحد إلاكا

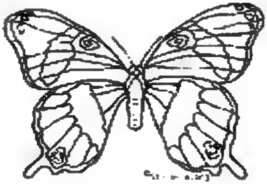

انظري إلى هذه الفراشة في شكلها ، وأجنحتها الكبيرة وجسمها الانسيابي، كيف أحسْن الله منظرها، وأودعها ألوانًا زاهيةً تمثل في مجموعها لون الأزهار، فمن خلق الفراشة وأودع فيها الروح؟ وخلق الزهرة وأودع فيها حياة لا يعلمها إلا هو مع أن كلتيهما تنموان، ومن وهبهما الحركة والنماء، ومن جعل في الفراشة روحًا وفي الزهرة حياة؟.

تأملي مملكة النحل وما يكتنفها من نظام دقيق ... فالنحل بذاته عالم لم يدرك حقيقتهُ إلا الله، وتأملي الحكمة من هذا التنظيم، إنها أيتها الفاضلة، أوجدت لنا العسل المصفى والشهد العطر، ولولا أن الله ربط النحل بهذا النظام، لما تمكن الإنسان في يوم من الأيام من جني العسل . ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

أنظري إلى الجمل، ذلك المخلوق الكبير، كيف سخره الله، وجعله يمشي خلف الطفل الصغير، إلى حيث يشاء فمن أقدر الطفل على ذلك ومن ذلل الجمل لهذه المهمة ؟ إنه الله العزيز الحكيم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾[2] .

(١) سورة النحل، الآيتان: ٦٨-٦٩.
(٢) سورة يس، الآيتان: ٧١-٧٢.

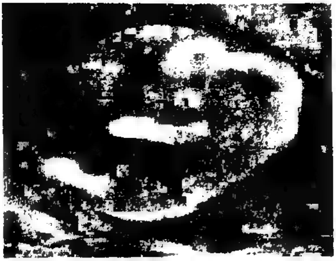

أنظري إلى الطفل الصغير، عندما يخرج إلى الدنيا، كيف يبحث عن الثدي ويلتقمه، ولم يبحث عن الملابس ليلبسها. إن الملابس من الممكن أن يقوم بها أهله، أما الطعام فلو لم يهتد الطفل إلى امتصاص الثدي، لما تمكن أهله من إدخال الطعام إلى جوفه، وتأملي ذلك الحليب الذي أودعه الله ثدي الأم، فسال لبنًا معقمًا طاهرًا نقيًا محتفظا بدرجة حرارة تلائم استعداد أمعاء الطفل، و بتركيب خاص، مهيأ للهظم في تلك الأمعاء الدقيقة، وجعل مادة اللبأ التي تسبق الحليب، ذات علاقة مهمة في نمو أعضاء الطفل، و تركيبه العضوي، وفوق هذا أودع الأم الحنان و العطف اللذين يضيفان على الطفل سعادة ونشوة، لا توجد لدى طفلٍ حُرِمَ من ذلك.

تأملي أيتها الفاضلة: تلك الأنهر الجارية في جسم الإنسان، مع اختلاف طعمها وتركيبها.. فالريق نَهْرٌ عذب يجري في فم الإنسان، فلا يتدفق بصورة السيلان ولا ينضْب إلا إذا فارقت الروح الجسد.. والدمع نهر مالح مستمر في مآقي الإنسان، ولا يسيل إلا لعاطفة البكاء، وهكذا مع أنهر الدم

ومشتقاته... تأملي القلب، تلك المحطة الصغيرة الكاملة، بجميع أجهزتها الدقيقة المعقدة ومهمتها الصعبة، كيف ينبض باستمرار، وبصورة منظمة ودقات معدودة، لا يمكن أن تختلف أو تنقص، مادام الإنسان في حالة طبيعية، ومع هذا فالقلب متصل بالدماغ، وبينهما رابط قوي، واتصال مباشر، وعن طريقها تتحرك كل الأعضاء في الإنسان ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1].

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2]

فيها أنواع الأشجار وتسقى بماء وأحد ولكن انظر لاختلاف اللون والطعم واللذة.. برتقال، موز، تفاح، طماطم، خيار، ليمون... فهذه أرض طيبة تنبت الكلا والعشب الكثير، والأشجار والزرع، وهذه أرض تلاصقها لا تنبت كلأ ولا تمسك ماء وهذه تنبت الكلا وهذه تنبت الزرع والأشجار، ولا تنبت الكلأ وهذه الثمرة حلوة، وهذه مُرّة، فسبحان الخالق ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤.

﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[(١)].

فتقودهم عقولهم إلى ما يرشدون به ويعقلون عن الله وصاياه، وأوامره، ونواهيه، وإن تعجبي أختي المسلمة من هذه القدرة العظيمة فعجب أعظم من ذلك من غفل عن الخالق، وترك عبادته، بل جعل له شريكًا واتّخذ إلهه هواه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[(٢)].

تأمل في نبات الأرض وانظر	إلى آثار مـــا صنع المليكُ
غصون من لجين شاخصات	بحدائق هي الذهب السبيكُ
على ورق الزبرجد شاهدات	بأن الله ليس لــه شريــكُ
صفحة الكــون مليئـــة	فانظــري فيهــا هنيهـــة

وهكذا يا صافية الذهن، فالكون كله صفحة مملوءة بالآيات، ولم يبق إلا التفكر، على حد قول الأعرابي (البعـر تـدل عـلى البعـير، والأثـر تـدل عـلى المسير، سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وليل داج ألا تدل على السميع البصير).

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

ذاقت لذة الإيمان

نعمة الإيمان محروم منها فئام من البشر لا يعدون بالألوف وإنما يعدون بالملايين لماذا؟ لماذا حرموا من هذه النعمة ، وهي أهم ما في القلب؟ لماذا لا يبحثون عنها ولماذا يهملونها عن قصد أو عن غير

قصد؟... هم في الحقيقة ما ذاقوا، ومن ذاق عرف، هم في الحقيقة أحياء، بمعنى أنهم يتحركون، ولكن أشبه ما تكون بحياة كافة المخلوقات، من غير الإنسان.

نحن لا نطلب من الناس إيمان رسول صلى الله عليه وسلم، فقد آمن إيمانًا لا تزنه حتى الجبال الراسيات،لأن الله كَمّلَه في كل شيء، ولكننا نطلب البحث عن الإيمان وعن زيادة الإيمان باستمرار.

إذن فالإيمان للمؤمنة كالماء للزهرة، وكالهواء للإنسان، مع فارق واحد، هو أن فاقد الهواء والماء يموت فيُقّبر، أما فاقد الإيمان فيموت، ومع ذلك يبقى بين الأحياء، ويمشي معهم. وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

تأملات :

ثلاث من كن فيه كن عليه:

الأولى: البغـــي. قـــال الله ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١).

الثانيـة: المكـــر. قـــال الله ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٢).

الثالثة: النكث. قال الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الفتح ، الآية: ١٠.

ماذا أعطاها الإسلام

هنا سألقي نظرة يسيرة حول حقوق المرأة، في وقتٍ يتجادل الناس عن حقوق المرأة؟ وماذا أعطاها الإسلام؟

وبالتأمل في التاريخ نعرف كيف كانت المرأة قبل الإسلام؟ وكيف أصبحت في الإسلام؟ ففي لمحة يسيرة للتمثيل لا البسط نجد أن المرأة.

١- كانت عند اليونان: تباع وتشترى.

٢- وعند الرومان: محجور عليها يقولون لطيش عقلها.

٣- وأما عند الفرنسيين: فإلى سنة ٥٨٦م يعقد مؤتمر ليناقش هل المرأة إنسان أم مخلوق آخر؟ ثم يتفق المؤتمر بعد نقاش طويل على أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل.

٤- أما الإنجليز: فالمرأة إلى عام ١٨٠٥م يجوز حسب القانون الإنجليزي للرجل أن يبيع زوجته.

٥- وعند الهند لا حق للمرأة في العيش بعد زوجها فتُحرق بالنار.

٦- وعند الأمريكان الذين يتبجحون بحقوق المرأة متى أعطوها حقوقها إلى عام ١٩٢٠م حتى أعطوها حقوقها، إذاً المرأة في صراع مع الناس حتى تأخذ حقوقها.

أما ماذا أعطاها الإسلام؟ فلإسلام نظر إليها نظرة عميقة فقال تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾[(١)].

فأصّل أنها أصل البشر هي وأدم.

وقال تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِى عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[(٢)].

ففضل الرجال بالإنفاق بالأموال.

وقال المصطفى ﷺ "أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائهم"[(٣)]. فجعل الخيرية أن يكون الإنسان خيراً مع نسائه.

ويقول الله تعالى ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[(٤)] فجعلها الله شقيقة الرجل في التكاليف فهي ملزمة بالإيمان وهي محاسبة مثل الرجل، ومكلفة بالعقيدة، وجعلها مسئولة عن عبادتها وشرع لها الأحكام الشرعية، وكرّمها أعظم تكريم، فأعطاها حق الأهلية، وحق التعاقد، فتشتري وتبيع وتملك، بل حتى في قضية الزواج لها رأي فلا تزوج إلا برضاها بكراً كانت أو ثيباً، ومن الخطأ أن يحكم على وضع المرأة اليوم في بلاد المسلمين على أن هذا الوضع هو الذي أراد الإسلام، كلا، الإسلام أعطاها مكانة عالية فالإسلام كلفّها وجعلها

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ٧٠٩٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.

مسئولة عن بيتها وعن بناء الأسرة، وتربية الأولاد، فلا تُظلم لأنها امرأة، بل فتح الإسلام لها أبواب المشاركة في القضايا السياسية فكانت أم سلمة رضي الله عنها تشير على النبي ﷺ في قضية الحديبية..."

وفتح لها باب العلم فكانت المرأة في الإسلام عالمة ومحدثة وفقيهة وهي التي خرّجت لنا الأجيال والأبطال كما سنرى المكانة العظيمة للمرأة ومدى ما وصلت إليه المرأة المسلمة لتكون قدوة صالحة تقتدي بها بناتنا وأخواتنا المسلمات، بدل أن تقتدي الواحدة بمطربة فاجرة من بنات الغرب أو بإنسانة تافهة من الشرق، تقتدي بتلك النسوة الصالحات الماجدات، نجد هذه النماذج تجاوزت أن المرأة فقط مسئولة عن البيت والأسرة والأولاد نعم هذه مسئولية رئيسية لديها لكنها مكلفة أيضاً ببناء المجتمع كما يكلف الرجل، وهذا هدف نبيل أريد أن نُؤّصله في نفوس بناتنا وأخواتنا.

ولهذا نجد النماذج قليلة في فترة الإسلام المتأخرة بينما كانت عظيمة في فترته الأولى فنحن مطالبون أن نرجع للإسلام بجميع تشريعاته ونظمه وأبشركم أن بشائر العودة للإسلام وبشائر الصحوة الحقيقة المتزنة ظهرت في هذا الجيل، لقد أصبحت المرأة المسلمة اليوم تعرف ما يُراد منها وما دورها، بنات المسلمين اليوم في صحوتهن والتزامهن ووعيهن لدورهن يبشرن بكل خير، فرأينا ونرى في الواقع المعلمات والمصلحات والمربيات، ودور التحفيظ

النسائية وحلقات القرآن النسائية والجمعيات وغيرها مما ينبئ عن فجر جديد للمرأة المسلمة وأريد أن أشارك في نصر الإسلام والدعوة إلى الله وتثبيت الصالحات على الحق بهذا الجهد المتواضع نريد أن ننتزع تلك النسوة اللاتي لازلن مبهورات بالغرب: نساء الغرب ولباس الغرب، وموضة الغرب، وغناء الغرب، وشهوات الغرب وتبرج الغرب، ونسينا أن الإسلام أعطى المرأة من أبواب الحضارة والتقدم والازدهار ما لم يعطه الغرب لبنات جنسه.. ماذا أعطاها الغرب؟ لقد أفسد المرأة وأعانه على ذلك وسائل الإعلام، وجعلوا المرأة تعيش على هامش الحياة.

هل تعاليم الإسلام قسوة على البشر

سؤال ربما تردد في خلد كثير من الناس؟ فهل تعاليم الله قسوة على البشر ونكال بهم ؟ أم أنها محض الرحمة والخير؟ والجواب الذي لا مراء فيه أنها محض الرحمة والخير.

فإذا كُلف أبناء آدم ببعض العبادات اليسيرة ليحمدوا فيها آلاءه ويذكروا له حقه، لم يُردْ بها إلا اليسر والسماحة والكرامة، ومع هذا أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وكتب لهم الحفظ إذا حفظوا أوامره، وجعل لهم من الرعاية والولاية ما يقويهم على تجاوز العقبات، وتحدي المصاعب، والبعد عن زيغ الأهواء، ومع هذا لو زاغت بهم الأهواء فإن منادي الإيمان ويقظة الضمير يهتفان بهم أن عودوا إلى ربكم، ثم إن فَرَحَةُ سبحانه بعودتهم إليه فوق كل وصف، كما ثبت في الصحيح قوله ﷺ [لله أشّدُ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة

الفرح] متفق عليه. ألا يبهرك أختي المسلمة هذا الترحاب الغامر. أترين سروراً يعدل هذه البهجة الخالصة، من الله الغني عن عباده وهم الفقراء إليه، إنه استقبال يزيد في حب العبد لربه وطمعه في فضله حيث يستر ما مضى ويعفو عما سلف فيستريح الفؤاد من آلام التعذيب التي سببها البعد عن خالقه.

دع ما فات في زمن الصبا   واذكر ذنوبك وأبكها يا مذنبُ
لم ينسه الملكان حين نسيته   لم اثبتاه وأنت لاَهٍ تلعبُ
والليل فاعلم والنهار كلاهما   أنفاسنا فيها تُعّد وتُحسبُ

فكيف إذا علم العبد أنه يفاجأ بفرحة غامرة، واستبشار عظيم، من الحميد المجيد، وكيف إذا علم أنه كُتب في سجل المقبولين، فذاك أمر يثير الدهشة. والله أبرّ بالناس وبأوبة العائدين إليه من الوالدة الرحيمة بولدها.

وطبيعي جداً أن تكون تلك العودة والتوبة الصادقة والقيام بأوامر الله واجتناب نواهيه نقلة عظيمة من حياة إلى حياة بل من موت إلى حياة يفصل بها بين عهدين متمايزين، كما يفصل الصبح بين الظلام والضياء.

إنه انتصار الإنسان على أسباب الضعف والخمول وسحقه لجرائيم الوضاعة

والمعصية، وانطلاقه من قيود الهوى والجمود ثم استقراره في مرحلة أخرى من الإيمان والإحسان ثم يسمع صوت الحق يملأ أرجاء الكون ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[١] فتتجدد حياته بعد البلى ويتّقد حماسه إلى أن يغيّر النفس كما تتغّير الأرض الموات بعد هطول الأمطار المخصّبات، فلن يجد العباد أبرّ بهم ولا أحنى عليهم منه سبحانه وذلك من آثار كماله الأعلى وذاته المنزهة فإذا أيقن العباد أن الله خلقهم ليكرمهم لا ليهينهم ويرحمهم لا ليعذبهم طار إليه الصادقون على أجنحة من الشوق وقعد الجاهلون بشعورهم البارد ليساقوا إليه بسياط من الرهبة، ولن يجدوا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه: لذا دعاهم إلى الفرار إليه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٢] لأنه القائل ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾[٣].

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٣) سورة القيامة، الآية: ١٢.

الفصل الثاني

قصة التحدي

بطلة هذه القصة فتاة من بناتنا، بدأت حياتها، ببراءة الطفولة كزهرة ناظرة، يتنفس الصباح فيريها الدنيا حلوة خضرة، عاشت بين أبوين كريمين، واصلت دراستها بتفوق حتى وصلت المرحلة الثانوية، لا هم لها إلا إسعاد والديها والجد والإجتهاد في دراستها لكنها لاحظت في الأونة الأخيرة، شخصاً يراقبها عن بُعد، يلاحظ ذهابها إلى المدرسة وعودتها إلى منزلُ والديها كانت لا تلقي له بالاً، بل ترى بفطرتها السليمة أنه لا يفعل هذا الفعل إلا كل ساقط وتافه ومنحط، لكنها ألاعيب الذئاب وخطوات الشيطان الكذاب وقد حذرنا مولانا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾[1].

يلاحقها بكلمات الغرام، ويناديها فارس الأحلام، لكنها ماضية في طريقها وسائرة إلى هدفها غافلة عن لوثات الطباع السافلة ولكن كما قيل: كثرة الإمساس تقلل الإحساس، فاقترب يوماً ونادى: يا غزال البر ـ

يا حمام الدوح   جاوبيني، ردي علي الروح

فنزلت هذه الكلمات على القلب البريء، فأحدثت فيه زلزلة رهيبه سلبت لبه القوي ، وأثرت في شفافيته الساحرة، فأضحت معولاً هداماً

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

لثوابته، فما استفاقت من حلمها إلا وقد كتبت له رقم منزلها واستعارت اسماً ولقباً تحادثه به، فبدأت تجر أثواب المهانة على حد قول أمير الشعراء أحمد شوقي.

يمامة كانت بأعلى الشجرة — آمنة في عشها مستترة
وجاءها الصياد ذات يوم — فحام حول الغصن أي حوم
فبرزت من عشها الأمين — ووقت في قبضة السكين

بدأت الاتصالات تتوالى وبدأ الماكر بألاعيبه الخبيثة، وانجرت الغافلة مع الكلام المعسول، بل المغسول من الفضيلة، وانساقت في بحور الهوى ومن تبع الهوى فقد غوى، وسار إلى الهاوية والردى، بدأ يسجل اتصالاتها، تسمع أحياناً أصوات أزرار الخط كأنه حدث بها التماس، لكن لم تظن أنه يسجل صوتها، يحيك لها المؤامرات، وهي غارقة في بحر الشهوات، عرفت أنه أعطى رقم هاتفها لبعض أصدقائه، وكان هذا الفعل كافياً لتعرف أنه إنسان سافل منحط، وأن تعود إلى رشدها، لكن الحماقة أعيت من يداويها، ثم تقول له قل لأصدقائك أن لا يتصلوا عليّ لأن أهلي بدؤوا يشكون ... ثم إني لك وحدك .... بل مستعدة أن أكون معك، وأذهب معك حيث تريد لأنك الوحيد الذي فهمني، أنت ملكت مشاعري، وفهمت أحاسيسي ... فقال هذا كلام جميل، لكن لا أستطيع حفظه، هل من الممكن أن تكتبيه في رسالة من قلمك الرشيق، وتعبيرك الرائع، وكلماتك الساحرة، وتبعثي بها

إليّ، كم أنا سعيد، عندما أرى رسالتك، لكي أقرأها كلما غبت عنك، فأجابت بكل فرح وسرور، أبشر يافتى الأحلام . فكتبت كلماتها الغزل، وآهات المُحِبة، وختمتها بكتابة اسمها وتوقيعها، هل سمعتن بغباء كهذا؟ هل رأيتن إنسانة تسلم ورقة إدانتها بنفسها ؟ لكنها السذاجة، وقلة الوعي، والإنجراف وراء داعي الهوى . وضعت الرسالة في مكان معروف بينهما، اتفقا عليه مسبقاً، أخذ الرسالة، وبعدها بيوم اتصل بها وأخبرها بأن الرسالة كانت جميلة جداً وأنها ممتازة جداً في التعبير، ورائعة في جمال خطها، لكن هل صورتك بنفس جمال خطك ؟ ممكن أقول لك نعم وتقول لي مادح نفسه كذاب.؟ قال إذن ارسلي لي صورتك وأنا أحكم، فأرسلتها بنفس الطريقة، ولكن المشكلة أن الصورة التي اعطته إياها، لم تكن لها لوحدها، ففيها صور زميلاتها، وحتى تثبت له أنها أجملهن وأكثرهن رشاقة، كتبت الأسماء على الصور، فباتت ليلتها في أوهام وخيالات، ماذا فعلت؟ بدأت تفكر فيما تسمع وتقرأ من قصص يفرزها الواقع، فتذكرت فلانة التي سلمت صورتها لصديقها فقام وركب الرأس على صورة فتاة عارية بحيث تبدو أنها هي العارية فابتزها وحطّ سمعتها، وأصبحت لعبة بيده، وفلانة التي أعطت صديقتها فيلماً كن قد تصورن به خلال حفل المدرسة، فأعطته لأخيها لكي يوصله «الاستديو» لإظهار الصور، فأظهر الصور، واحتفظ ببعض النسخ لنفسه، ليفترس صديقة أخته عند الحاجة، بل تذكرت قصة تلك الفتاة التي

تصورت لأجل السفر مع أهلها، لكن المصور احتفظ بنسخة من صورتها ليقوم ببيعها على الشباب، ووصل الأمر إلى أبيها مما كاد يودي بحياتها، حاولت أن تقنع نفسها بأن هذا شاب صادق، نامت بعد عناء التفكير، اتصل عدة مرات لكن كانت نائمة بعيدة عن الهاتف، فاتصلت أخته حالة استيقاظها فردت عليها وبعد السلام قالت أتركك مع حبيب القلب، فكرة خبيثة يتسترون وراء النساء من أخواتهم لنيل مآربهم، تكلم وهو مغضب، نضطر إلى استخدام الأساليب الملتوية لنكلم بعض، لماذا لا تكون هناك حرية ؟ الناس وصلوا إلى سطح القمر، ونحن لا زلنا متخلفين قالت أنت لا تريد الحرية، أنت تريد التحرير، قال بل أريد الحرية، مثلاً هل أقدر أن أتكلم معك بحرية، هل أقدر أن أراك؟ حتى إن بعض الناس وصل بهم التخلف إلى أن منعوا أبناءهم من سماع الأغاني، ومشاهدة المسلسلات، قالت له: حتى في أمريكا بلد الحضارة والتقدم بعضهم يفعل هذا، قال لكن هناك النساء يخرجن بحرية كاشفات يصادقن من يردن بدون قيود، قالت لكن نحن مسلمين فهل تريدنا أن نفعل مثلهم؟ قال: لا . نتمشى ونتدردش مع بعض قالت: نحن أناس مسلمون، والإسلام وضع لنا حدوداً لا نتعداها، قال دعيك من النصائح، شبعنا من الكلام، أنا أريدك أن تخرجي معي قالت ماذا هل أنت مجنون ؟ قال أرأيت حتى نحن الذين سوف نتزوج في المستقبل لا نستطيع أن نخرج مع بعض . قالت دعك من هذا الكلام الذي يضحك به

المنحطون على المغفلات وتقدم لخطبتي من والدي إن كنت رجلاً شريفاً قال سوف أتقدم إذا كونت نفسي، لكن أريد أن تخرجي معي وسوف أسمعك تسجيلا سوف يعجبك... نزلت الكلمات على قلبها كالصاعقة، وتصبب منها العرق، وأصابها الإغماء، ألقت السماعة وأخذت ترتعش، ماذا أفعل؟ أأخرج معه؟ ماذا سيحدث؟ وماذا سيفعل؟ وكيف سأعيش بعدها؟ كيف أعود إلى البيت؟ ماذا سأقول لأمي وأبي؟ وهل سيتزوجني بعد ذلك؟ كل ما فعلته أريد أن أضمن زوجاً، لأني خشيت أن يفوتني قطار الزواج لكن وقعت في ألاعيب الذئاب ؟ كيف الخلاص؟ بقيت يومين تصارع الأفكار، وتحلل التهديدات التي يرسلها لها، وأخذت تفكر بحزم وجدية في اتخاذ القرار، إنه قرار صعب لكنها بدأت تفكر في بدايته معها، كيف كان يراقبها، ويقتنص الفرصة للضفر بها، كيف كان يكذب أحياناً ويراوغ أخرى كيف كان يؤذي أهلها باتصالاته المتكررة، حتى في الثلث الأخير من الليل ،كيف أعطى زملائه رقمها، وسجل صوتها، ثم قالت في نفسها لو خرجت معه سأصبح ألعوبة بيده، كما حصل لفلانة، عندما أكتشفها أخو زوجها ((الحمو)) أكتشفها في مكالمة مع شاب، فسجل المكالمة ثم أخذ يساومها على نفسها ويعطيها الشريط أو يسلم الشريط لأخيه ويفضحها، فوافقت مرة على طلبه فمكنته من نفسها على أن يعطيها الشريط، فبقي يهددها كلما أراد معاشرتها وهي منساقة كالشاة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما

حذرنا بقوله "الحمو الموت"[(١)]. لقد كان لهذه القصة أثر كبير في نفسي هذه المرأة فقررت عن قناعة، بعد أن وفقها الله للإفاقة من الغفلة والجهل والغرور، فقررت عدم الخروج معه، لكن لم تصرح بذلك بل لزمت الصمت، وبدأت تعمل بدهاء، فزادت اتصالاتها على أخت هذا الخبيث، وقويت العلاقة بينها وبين أخته، وأخذت تمدحها وتتحبب لها، وفي يوم من الأيام علمت أن ذلك الشاب السيئ ذاهب مع بعض أصدقائه إلى البر وأنه سيتأخر، فذهبت إلى صديقتها أخت ذلك الشاب، وجلست معهم قليلاً وأخذت تثني عليهم وعلى صديقتها بما فيها وما ليس فيها حتى أرتاحت الفتاة وأنست وفي أثناء الحديث طلبت أن تأخذها إلى غرفة أخيها زوج المستقبل، وبدون أي تفكير أخذتها إلى غرفة أخيها ثم لمّا جلست قليلاً بالغرفة طلبت منها كأساً من الماء فذهبت لإحضاره قامت هي مسرعة وفتشت أغراض الشاب واكتشفت أنه يفتح لكل فتاة ملفاً لإيقاعها في شباكه، أخذت ملفها ووضعته تحت عباءتها، وجلست قليلاً ثم استأذنت وذهبت وسجدت لله شكراً أن أنقذها قبل أن تقع الكارثة، وفي اليوم التالي اتصل الشاب السافل، فأزبد وأرعد وهدد وتوعد وأخبرها أن لديه ملفاً كاملاً عنها، وإذا لم تعطه ما يريد فإنه سينشره، ويقوم بفضحها في المواقع، فقالت ماذا تريد؟ قال أريد أن تخرجي معي، فقالت متحدية، نجوم السماء أقرب لك. فقال ستخرجين رغماً عنك،

(١) أخرجه الترمذي في جامعه رقم الحديث ١٠٩١.

فقالت بكل تحدي وقوة أيها السافل المنحط سوف تخرج روحك قبل أن أخرج معك[(١)] .

لقد تحدت العالم .. والشهوات .. والإغراء .. بكلمة لا .. لقد سجلت سبقاً .. ويبقى التاريخ يسجل هذا الموقف العظيم على مدار العصور ...

فوائد من قصة التحدي:

١) نعم، لقد تحدت أهواء نفسها الأمارة بالسوء، وتحدت إغراء الفساق الماجنين، وتحدت تهديد الذئاب المفترسة، وتحدت مكر الثعالب الماكرة، لقد تحدت هؤلاء بتوفيق الله لها، ثم بصبرها وتصميمها على رأيها.

٢) إنها استفادت من تجارب الأخريات، ومما قرأت في حياتها فكانت تلك القصص والمواقف إشارات مرورية تؤذن بالخطر عند تجاوزها .

٣) أن المرأة ضعيفة التفكير، وسريعة التأثر بالكلام المعسول فقد أثر فيها ذلك تأثيراً بليغاً لكن سرعان ما عادت إلى رشدها واستيقظت من غفلتها .

٤) إياك أن تلعبي بالنار، فمعاكسات الشباب والتحدث معهم خروج عن الفطرة السليمة، وليست الذكية والفاهمة هي التي تستطيع أن تضحك على الشباب، أو تعرف كيف تستهوي النفوس وتجر الكثير في طريقها،

(١) ينظر كتاب تجربتي مع شخص – لهند الجزيرة – بتصرف يسير.

لكنها التي حفظت سمعها وبصرها وجوارحها، ولم تخرج عن تعاليم دينها.

٥) قصة التحدي قصة تبعث الأمل في نفوس الغارقات في مثل هذا المستنقع فتقول كلمة التحدي، وكما احتال عليها لإيقاعها في شباكه يجب أن تحتال لترد اعتبارها.

٦) قصة التحدي، فيها التفكير الكبير في عظمة الخالق، فهو أحق أن يجلّ ويعظم، فلا تفكر العاقلة في فضيحة الدنيا، بل تكون شجاعة في اتخاذ القرار الصائب لتخرج من أسر الشهوات، وتمزق قيود الغفلة، وتعمر قلبها بالخوف من الله وحده.

٧) في قصة التحدي تأكيد عظيم، بأن الله مع الذين اتقوا، ومن أرادت الخلاص من الشر، وفتنة الدنيا، فلتعتصم بالله، وتستنصر به، فهو ملاذ الخائفين،ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

خاطرة:

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

نريد ألفاً مثل هذه المرأة

قصة حقيقية وقعت للشيخ أحمد الصويان عدد البيان ١٣٨

يقول: كنت في رحلة دعوية إلى بنجلاديش مع فريق طبي، أقام مخيماً لعلاج أمراض العيون، فتقدم إلى الطبيب شيخ ومعه زوجته بتردد وإرتباك، ولما أراد الطبيب المعالج أن يقترب منها فإذا بها تبكي وترتجف من الخوف، فظن الطبيب أنها تتألم من المرض، فسأل زوجها عن ذلك فقال -وهو يغالب دموعه- إنها لا تبكي من الألم.. بل تبكي لأنها ستضطر أن تكشف وجهها لرجل أجنبي!!

لم تنم البارحة من القلق والإرتباك، وكانت تعاتبني كثيراً: أو تَرضى لي أن أكشف وجهي؟!

وما قبلت أن تأتي للعلاج إلا بعد أن أقسمتُ لها أيماناً مغلظة بأن الله تعالى أباح لها ذلك للاضطرار، والله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

فلما اقترب منها الطبيب، نفرت منه، ثم قالت:هل أنت مسلم؟ قال: نعم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

قالت: إن كنت مسلماً... إن كنت مسلماً... فأسألك بالله ألا تهتك ستري، إلا إذا كنت تعلم يقيناً أن الله أباح لك ذلك...! أجريت لها العملية بنجاح وأزيل الماء الأبيض، وعاد بصرها بفضل الله تعالى حدّثت عنها زوجها أنها قالت: لولا اثنتان لأحببت أن أصبر على حالي ولا يمسني رجل أجنبي:

١- قراءة القرآن. ٢- وخدمتي لك ولأولادي.

ما أعظم شموخ المرأة المسلمة بعزتها وعفافها.. وما أجمل أن تُرى المرأة مصونة فخورة بحشمتها...!

أكرم به من إيمان يتجلى في صورة عملية صادقة بعيدة عن التكلف أو التنطع، سالمة من الرياء وشوائب الهوى...!

فأين النساء اللواتي كسرن طوق الحياء واسلمن أنفسهن لدعاة الرذيلة وأدعياء المدنية، وأصبحن يلهثن وراء شهواتهن ويتبارين في التفسخ والإنحلال... أين هن من تلك المرأة العفيفة الطاهرة؟!.

ولكم يتفطر القلب أسىً وحزناً على تلك الفتيات الزهراوات اللواتي طاشت بهن الأهواء وأسلمن أنفسهن بكل غفلة وبلاهة لكل ناعق...؟!

إن الحياء شعبة من شعب الإيمان وعنوان العفة والفضيلة، تقوم قواعده على أسس راسخة من التقى، وأصول متينة من الصلاح، فقد روى مسلم في

صحيحه أن رسول الله ﷺ قال (الحياء كله خير) بل عَظّم النبي ﷺ من شأنه فقال (إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء)(١).

ويتأكد ذلك في حق المرأة، فسترها رمز حيائها، وحجابها دليل كرامتها، وإذا اختل حياء المرأة تزلزلت أقدامها وعصفت بها الفتن وأصبحت سلعة رخيصة تباع بأبخس الأثمان ويعبث بها دهاقنة الفساد ودعاة الهوى.

فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
يعيش المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقي اللحاءُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٤١٧١.

(أول شهيدة في الإسلام)

وقفت أمام المغريات بشجاعة، وكبحت جماح نفسها بقوة، وتحدت أقوى الأعداء بعزيمة الأبطال البواسل فاستعذبت العذاب في سبيل الله، فمع أول شهيدة في الإسلام، سمية بنت خياط، لقد تفنن الأعداء في تعذيبها، فلم يُجْدى الغمز واللمز، فجعلوا يوخزونها بالرماح رالخناجر، ويلهبونها بالسياط، ويعبثون بجسدها وهم يتضاحكون، يطرحونها أرضاً، يحرقونها بالنار، يُلقون عليها الأحجار الثقال، يسكبون عليها الماء، وأبو جهل المشرف على التعذيب ينظر متحرقاً، أن يسمع صيحة أو آنةً أو شكاة ولكن هيهات هيهات، يَمُّر عليها رسول الله ﷺ (فيقول صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة) فتقول سمية المعذبة في الله أشهد أنك رسول الله، وأن وعد الله حق: لسان حالها:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن الله ليس له شريك ... ولا اتخذ الظهير ولا المعينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

يفقد أبو جهل صوابه، فيقول لتَذّكُرِنّ محمداً بسوء أو لتمُوتِنّ، وتجيبه سمية بؤساً لك ولألهتك، فيضربها برجلة في بطنها، ثم يطعنها بالحربة في قبلها، وتشهق شهقة الوداع، لتكون أول شهيدة في الإسلام، لتكتب على مّر

الزمان خلودها، وتثبت للورى جلدها وصبرها، لقد سجلتْ سبقها على رهطها، وعلى أخواتها المسلمات، وما كان لإيمانها أن تهزه الرياح العواتي، وثبتت في ميدان الجهاد كالجبال الرواسي، وتقدمت إلى ميدان الشهادة باطمئنان واستبشار واستعلاء.

سميةُ لا تبالي حين تلقى ... عذاب النكر يوماً أو تلينا
وتأبى أن تردد ما أرادوا ... فكانت في عداد الصابرينا

صابرة على الحق

لئن نطق بعض الرجال بكلمة الكفر، ليقـي نفسه مـن العـذاب، فـإن امرأةً واحدةً لم تفعله، لقد كانت سمية، وحمامة أم بلال بن رباح، وجارية بني عدي بن كعب، والنهدية وابنتها، وزنـيرة الرومية، كُـنّ جميعـاً في طليعة المعذبات ، يُلبسن أدرعاً من الحديد، ويطرحن في رمال الشمس المحرقة، ثـم يُسّلمن إلى زبانية الدماء، وكانت على رأس الرهط الكريم أم شُريك القرشية العامرية التي راحتْ تدخل على نساء قريش سراً، تـدعوهن إلى الإسلام، حتى ظهر أمرها، فأخذوها وحملوها على بعير لـيس تحتـه شيءً موطـأ، ثـم تركوها ثلاثاً لا يطعموها ولا يسقوها، وكانوا إذا نزلـوا أوقفوهـا بالـشمس واستظلوا، وحبسوا عنها الطعام والشراب، فعـذبوها حتـى فقـدت بـصرها فعميت، فجعلت تدعو الله تعالى، وتُلِحّ في الـدعاء فأعـاد الله إليهـا بـصرها لتواصل الجلد والصبر فبورك في النساء الصامدات.

هكـذا اسـتهونت المـرأة المـسلمة الألام والعـذاب، في سـبيل الله رب الأرباب، موقنة بالنصر والعزة ، والفوز بالجنة.

فطعم الموت في أمر عظيـم   كطعم الموت في أمر حقير

صمود بأرض فلسطين...

ما أجمل ثبات تلك المؤمنة الصادقة، بأرض فلسطين المسلمة، أولى القبلتين، ومسرى سيد الثقلين، فَقَدْ عُذِّبِت وأُوذيت، وقتل زوجها، ومزق طفلها بين يديها، فأضحت تقول فرحة جذلا:

ذبحوني من وريد لوريد ... وسقوني المرّ في كل صعيد
مزقوا زوجي فلم أعبأ بهم ... ومضوا نحو صغير ووحيدي
غرسوا الحربة في أحشائه ... فغدا "التكبير" أصداء نشيدي
دمروا بيتي وهل بيتي هنا؟ ... إن بيتي خلف هاتيك السدود
وتلفت فلم أعثر على ... غير أبناء الأفاعي والقرود
أين بأس العرب؟ مذعور لمن؟ ... أين أبناء الحمى درع "الصمود"
ودمي سال على تلك الرمال ... ينثر العطر على حمر الورود
ولغ الغاصب في أشلائنا ... غير أنا لم نزل سمر الزنود
ولوائي فوق هامات الورى ... يتحدى في العلى كل البنود
قل لمن يلهث في "غفلته" ... ينشد الأمن تمتع بالصديد
إن في يافا مواعيد لنا ... ورُبى القدس لنا بيت القصيد
وعلى شطآن حيفا موعد ... كيف ننسى في الحمى خضر الوعود
ذبحوني من وريد لوريد ... ودمي يجتاح أحقاد اليهود

قل لمن يحسب أنـــا أمـــة ... أنكرت أمجاد سعد والوليـــد

نحن شعب لم يعد يخشى الردى ... أو يبالي برصاص وحديـــد

قطع العهد وفي أعماقـــه ... دعوة التوحيد والدين الرشيـد

كلما أُطفــئَ منـا قبـــسٌ ... أشرق القرآن بالفجر الجديـد

قد رجعنا رايةً زاحفـــةً ... بعد أيام ضيـــاع وشـــرود

ومضينا نحو آفـــاق العـــلى ... يُسلمُ الرايـــةَ جدٌّ لحفـيـد

إنها الجنةُ تبغي ثمنـــاً ... عزَّ إلا من شرايين الشهيـد

وصدق الله :-

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (١).

همسة: لو تأملت القرآن الكريم لن تجدي الفوز الكبير إلا في هذه الآية، لأن تقديم النفس لله، أعظم ما يجود به الصادقون

يجود بالنفس إن ضَنّ البخيل بهـا ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(١) سورة البروج، الآية: ١١.

لماذا سجنوها؟

كانت داعيةً إلى الله تعالى، داعيةً بكل ما تحمله هـذه الكلمـة، مـن المعـاني السامية، همها نشر الخير والهداية للناس.

وهي على قدر كبير من الثقافة، ذاقت ألوان العذاب بل اخترقت مراحـل عصيبة... ودامية، من التعذيب والتنكيل، ولكن الثقة بالله تعالى... وما وجدتـه من حلاوة الإيمان... جعلها تصبر... وتصبر... وتصبر.لسان حالهـا: لا تحـزن إن الله معنـا، مستـشعرة قـول الله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

ففي ٢٠ أغسطس سنة ١٩٦٥م... اقتحموا منزلها دون استئذان...

ولما طلبت منهم إذناً بالتفتيش، قالوا: أي إذن يا مجـانين نحـن في عهـد... نفعل ما نشاء بكم.

وأخـذوها إلى الـسجن... وهـي صـابرة محتـسبة مـسلمة أمرهـا لله رب العالمين.

وجاء الأمر بسجنها في غرفة ٢٤.

وها هي تتحدث وتقول «وفتح باب لحجرة مظلمة، فدخلتها، ثم أغلقـوا بابها.

---

(١) سورة البقرة، الآية١٥٣.

ابتلعتني الحجرة، فقلت: باسم الله، السلام عليكم!!

وأغلق الباب وأضيئت الكهرباء قوية... إنها للتعذيب.

الحجرة مليئة بالكلاب... لا أدري كم؟ أغمضت عيني، ووضعت يدي على صدري من شدة الفزع، وسمعت باب الحجرة يغلق بالسلاسل والأقفال، وتعلقت الكلاب بكل جسمي، رأسي ويدي، صدري وظهري،

كل موضع في جسمي أحسست أن أنياب الكلاب تعض فيه، فتحت عيني من شدة الفزع، وبسرعة أغمضتها لهول ما أرى، ووضعت يدي تحت إبطي، وأخذت أتلو أسماء الله الحسنى مبتدئة «يا الله، يا الله». أدعوه بأسمائه الحسنى، أن يُفَرّجَ همي، ويكشف كربتي.

فالكلاب تتسلق جسدي كله، أحس أنيابها في فروة رأسي، في كتفي في ظهري، أحسها في صدري، في كل جسدي، أخذت أنادي ربي، لسان الحال والمقال: إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن رحمتك أوسع لي... هب لي رحمة من رحماتك، ترحم بها ضعفي، وتقوي صبري وتُفَرّج كربي.

كل هذا كنت أقوله بسري فالكلاب ناشبة أنيابها في جسدي.

مرت ساعات، ثم فُتح الباب، وأُخرجت من الحجرة.

كنت أتصور أن ثيابي البيضاء مغموسة في الدماء، كذلك كنت أحس وأتصور أن الكلاب مزقت ملابسي وجسمي لكن يا لدهشتي، الثياب كأن لم يكن شيء، كأن ناباً واحداً لم ينشب في جسدي.

سبحانك يا رب، إنه معي (بعلمه وإطلاعه وإحاطته ونصره وتأييده)، يا الله هل أستحق فضلك وكرمك؟ يا إلهي لك الحمد.

وتعجب السّجان أشد العجب عندما علم أن الكلاب لم تمزقها.

ولا أعلم ما سِرُّ تعجب السجان وغيره... لكن تذكرت قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1]. نعم إنها حقيقة الولاية، ألم يقل سبحانه ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[2].

ألم يقل سبحانه وتعالى ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[3]. لك الحمد يا رب، لك الثناء والشكر.

ثم واصلوا تعذيبها... مبتدئين بخطوة الكلاب.

وتمر على الداعية زينب الغزالي... الثواني...

الدقائق...

الساعات...

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣١.

(٣) سورة محمد، الآية: ٧.

الأيـــــام...

الأشهر...

السنون...

وهي قابعة في غياهب السجون، متفننين في تعذيبها، إنـه واقـع تعيـشه الآن بعض أخواتك في الله، المنتشرات في شتى بقاع العالم.

وزينب بالرغم من ذلك صابرة... محتسبة الأجر من العلي القدير.

إنها ثابتة لثقتها بالله تعالى... وأن نور الفجـر سـيبزغ عـن قريـب، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

يا صاحب الهمّ إن الهمّ منفرج ابشر بخيرٍ فإن الفـــارج اللهُ

بضفيرة شعرها نصرة أمتها

سبى الروم بعض النساء المسلمات... فعلم بالخبر ((المنصور بن عمار)) فقالوا له ((لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين، فحرضت الناس على الغزو؟... وفعلاً... جعل له مجلساً بقرب أمير المؤمنين هارون الرشيد، وذلك في ((الرقة)) في الشام.

وبينما كان الشيخ ((منصور)) يحث الناس على الجهاد في سبيل الله، إذ طرحت خرقة بها صرة مختومة، ومضموم بها كتاب، فك ((المنصور)) الكتاب، وإذ فيه ((إني امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو في ذلك، فعمدت إلى أكرم شيء من بدني وهما ذؤابتاي "ضفيرتي" فقطعتهما وصررتهما في هذه الخرقة المختومة، وأناشدك بالله العظيم أن تجعلها قيد "لجام" فرس غازٍ في سبيل الله فلعلّ الله، العظيم، أن ينظر إليّ على تلك الحال فيرحمني بها)).

فلم يتمالك "المنصور" نفسه تجاه تلك العبارات البليغة.

فبكى... وأبكى الناس.

فقام هارون الرشيد وأمر بالنفير العام.

فغزا بنفسه مع المجاهدين في سبيل الله... ففتح الله عليهم.

أعرفت يا أختي الفاضلة هكذا كانت مريدة الجنان تبذل لرضا الرحيم الرحمن. ما قيمت ما فعلتْ؟...

إنها ضفيرتان... والضفيرتان من شعر المرأة...

والشعر من جمال المرأة. فاستهانت تلك المرأة بهذا الجمال، استهانت لأنها امتزجت قلباً.

وإيهانياً.

وحيـــاة.

امتزجت بمشاعر أخواتها الأسيرات عند الروم.

هذه النقلة الإيهانية نحتاجها اليوم.

فانظري يا أختي الفاضلة إلى الكرة الأرضية...

كم من أخواتك في الله يعشن تحت وطأة القهر والظلم والاضطهاد، فمنهن الأسيرات، والكسيرات، والمقهورات، ومنهن القابعات في غياهب السجون، ألهبت أجسادهن السياط.

ومنهن من تفترش الأرض وتلتحف السماء من الجوع والعطش.

كل ذلك يحدث لهن... ونحن نتنعم بالفرش الوثيرة... والسيارات الفارهة... ونتلذذ بأطايب الطعام وأشهى الشراب...

آه... لحال المسلمين... آه... لمآسي المسلمات

لمثل هذا يذب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

أين الإحساس بمشاعر المسلمات الأسيرات الكسيرات؟. يأتي العيد فلا يحسسن بلذته وفرحته، فَرّق الأعداء بينهن وبين أولادهن، وأزواجهن، وأبائهن وأمهاتهن، لسان حالهن..

عيد بأية حال عُدَت يا عيدُ لما مضى أم لأمر فيك تجديدُ

أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيدُ

قال رسول ﷺ: "من نصر أخاه بالغيب نصره الله في الدنيا والآخرة"[١].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣ حديث رقم ١٢١٧.

كانت سبباً في قيام الدولة السعودية

إنها قصة الطموح مع نفس إمام، جاء والدنيا تعيش في بدع وضلالات، وخرافات وجهالات، فأقام الدين ودعى إلى الله على علم وبصيرة.

خرج من بلدته «العيينة» التي ولد وترعرع فيها.

خرج ماشياً على الأقدام... متجهاً إلى «الدرعية» ووصل إليها آخر النهار.

ومنطقة «الدرعية» أميرها «محمد بن سعود»

وقد علمت زوجة الأمير «محمد بن سعود» بقدوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكانت زوجة صالحة... عاقلة... تتمتع بحسن تدبير الأمور .

ولعل بشاشة الإيمان قد خالطت نفسها الطيبة، فما أن جاء زوجها الأمير «محمد بن سعود» حتى بادرته قائلةً: «ابشر بهذه الغنيمة العظيمة»؟

يا له من عرض رائع متميز، من تلك المرأة الفاضلة

تلك المرأة اتسمت...

برجاحة العقل..

وطلاقة اللسان..

وحسن البيان

فلم تنسها الإمارة رجال الدعوة.

فما كان من الزوج الأمير «محمد بن سعود» إلا أن استجاب فوراً لذلك المطلب الرائع.

وأراد أن يستشير زوجته... فقال: هل أدعوه أو أذهب إليه؟

واستشارة الأمير لزوجته دليل على أنه كان يَعتّدُ برأيها.

وهذه صورة من صور البنيان الأسري... البنيان القائم على الود والتفاهم.

وها هي نتيجة حث «موضي بنت وطبان» لزوجها «الأمير محمد بن سعود»

حثته لتأييد، ونصرة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وفعلاً فتح له بلدته وقلبه... ونصره، وآزره، فهذا بالسلاح، وذاك بالعلم والدين، فقامت الدولة السعودية الأولى.

وهذا النور ساهمت في إبرازه، المرأة الصالحة «موضي بنت وطبان» نعم إن لها فضلاً على أهل هذه البلاد، ولها حق الدعاء لها بالرحمة والمغفرة.

(باعت بقرتها لتبني مسجد القرية)

امرأة مسلمة.. افريقية.. تعيش في الأدغال.. كانت تسكن في بيت متواضع.. لا تملك إلا بقرة.. هذه البقرة تعتبر موردها الاقتصادي الوحيد... كان بجانب سكنها المتواضع مسجد.. وهذا المسجد من السعف والأخشاب.

ففيه تقام صلاة الجماعة

وهي تسمع الأذان في اليوم خمس مرات

تسمعه... فتطمئن نفسها... ويزداد إيمانها باللطيف الخبير.

... وبعد مرور فترة ...

أرسل الله أمطاراً غزيرة... تساقط المسجد على إثرها، وتوقف نداء، الله أكبر

وتوقفت أيضاً صلاة الجماعة

وتوقف... حي على الصلاة... حي على الفلاح

لقد توقف ذكر الله في المسجد... فمن يعيده؟

إن جذوة الإيمان تشتعل في نفوس الكثير، من المؤمنين الصادقين، ومنهم تلك المرأة.. فلم تتوانَ.. ولم تتباطأ عن اجتماع القلوب الإيمانية، تعيدها في مكان واحد، وتحت سقف واحد.

... ولكن ما الحل؟ ...

لقد سارعت ببيع بقرتها الوحيدة... ومصدر رزقها الوحيد...

وجاءت بالمال، واستأجرت عمالاً... فقاموا بالبناء فأعادت بفضل من الله تعالى المسجد على نفقتها الخاصة.

... وبعد ذلك ...

اعتلى نداء الله أكبر... الله أكبر... مرة ثانية واعتمر المسجد مرة ثانية بالمصلين

الراكعين.... الساجدين.... الحامدين... المستغفرين. هنيئاً لها هذا العمل الكبير ولتهنأ بشهادة الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]. وهنيئاً لها بشارة رسول الله ﷺ ((من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاه بنى الله له بيتاً في الجنة)) رواه الإمام مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه.

إنها... ثمرة من ثمرات حب الله تعالى.

لقد آثرت محبة الله على نفسها، فأفزعها اختفاء صوت الأذان فسارعت لإعادته... فأين نحن عنها؟.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

كثـير مـن المـساجد اليـوم، بحاجـة إلى مكـبرات صـوت بحاجـة إلى مكيفات، بحاجة إلى ترميم، بل بعض المناطق بحاجة إلى مسجد، ولا يوجـد من يقوم بهذا العمل.

وهذه المرأة المسلمة الصادقة، استطاعت بعون الله أن تعيد بناء المسجد، وأن تعيد إليه حيويته ونشاطه، لما كانت تؤمن أن الحيـاة والمـوت وجميـع مـا تملك، لله رب العالمين.

وتحب أن يَركعَ ويَسجُدَ في بيتـه عبـادُهُ الـصالحون ونتيجـةً لمحبتهـا لله تعالى... أرادت الاستماع لاسمه الجليل الله أكبر ...

والآن يا أختي الفاضلة.. نوّد أن نعمل، منطلقين من محبة الله ورسوله.

حب الله تعالى لا يكفي، بقراءة المواقف والمواعظ، إنـما يجـب أن يتبعـه العمل.. فأوَدّ أن تكون لك صدقة، ولو بمقدار دينار واحد، لإحدى اللجان الخيرية، أو دور التحفيظ وكفالة الأيتام والمشاريع الخيرية.

فبادري بوضع اللقمة في فم أحد فقراء المسلمين، فلعـل صـاحب هـذا الفم يرفع يديه في آناء الليل داعياً رب السموات والأرض، أن يرحمك برحمة من رحماته الواسعة، والله إنني لأتمنى ذلك!!

وإنني لأغبط من ينال دعاء مسلم، يفترش الأرض ويلتحف السماء.

والآن تـصوري أن يرفـع يديـه ويقـول ((اللهـم ارحـم مـن أطعمنـي وكساني))

فيا لها من سعادة تتمنينها أنتِ وكل موحد لله رب العالمين.

قال رسول الله ﷺ: ((من أفضل العمل، إدخـال الـسرور عـلى المـؤمن، تقضي عنه ديناً، تقضي له حاجة، تنفس له كربةً))[١].

(١) صحيح الجامع الصغير ج٥ حديث رقم ٥٧٧٣.

براتبها بنت مدرسة للتحفيظ

امرأة فلبينية.. أسلمت لله رب العالمين فكان أحب إليها من كل شيء، لما أسلمت فُصِلَتْ من وظيفتها... إلا أن ترجع إلى معتقدها القديم، فرفضت وتركت وظيفتهم... وأخذت أطفالها الصغار... وذهبت تبحث لها عن مصدر رزق، فرزقها الله وظيفةً تتقاضى عليها راتباً يسّد حاجتها وأطفالها... فقنعت وواصلت دعوتها إلى الله وكل يوم يُسلِمُ على يدها امرأة.. فكانت تجتمع بهن كل أسبوع، ولكن زاد العدد، فأصبحت الغرفة الوحيدة في بيتها الصغير، لا تتسع للحاضرات والمحاضرات، فَفكّرت في بناء مقر يصلح لحلقات القرآن الكريم، فكانت تقتطع جزءاً من راتبها حتى استطاعت أن تبني مقراً لتحفيظ القرآن الكريم تجتمع فيه بأخواتها المؤمنات، تُدَرِسّهن القرآن الكريم حتى وصل عدد من أسلم على يديها ٣٠٠ ثلاثمائة امرأة. فيا لها من امرأة عظيمة، لقد نالت بشارة رسول الله ﷺ: "لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حُمْرِ النعم" رواه البخاري ومسلم.

لقد تحدت العالم عندما استطاعت بتوفيق الله، أن تبني أمةً، وتأسس دوراً لتعليم كلام الله، قال رسول الله ﷺ "خيركم من تعلم القرآن

وعلمه"[١]. بشراها لقد فازت بكرامة الدنيا، فأسأل الله لها الفوز بكرامة الآخرة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحة رقم ٥٠٢٧.

الفصل الثالث

أمثلة رائعة ومواقف مثيرة

[تسرّ الناظرين]

سارّة، زوجة إبراهيم عليه السلام واسمها سارّة لأنها تسير من نظر إليها، تشير كثير من الروايات إلى أنها ابنة عمه، تزوجها وعمرها ١٦ سنة ويقولون إنها من أجمل نساء العالمين ولم تكن امرأة أجمل منها إلا حواء التي كانت أجمل نساء العالمين، أمنت بإبراهيم عليه السلام وانطلقت معه من العراق إلى الشام وإلى مصر، وفي مصر كان ملك جبار، سمع بحسن جمال سارّة، فأراد أن يأخذها لنفسه، وقال سلوا الرجل الذي معها؟ فإن كان زوجها فاقتلوه، هكذا بكل جرأة، فلما وصلوا إلى إبراهيم، رأى الشر في وجوههم، فلما سألوه من هذه المرأة لك؟ قال أختي: يقصد أخته في الإسلام، فأخذوها وجيء بها إلى هذا الملك الفاجر، فلما أراد أن يمّد يده إليها، دعت الله عز وجل بدعاء فيه معنى العفة والشرف "اللهم إن كنت أمنت بك وبنبيك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فاكفني هذا الفاجر" لأن العفة والشرف والبعد عن الحرام، أعمال صالحة يتقرب بها العبد إلى الله، والمرأة الشريفة العفيفة لا تساوم على عرضها وشرفها أبداً، أما سارّة فقد استجاب الله دعائها فلما مد الفاجر يده، جمدت يده، ولم يستطع أن يتحرك، فخاف خوفاً شديداً، وأخذ يترجاها.. أطلقيني أطلقيني.. وخافت إن لم تطلقه يأمر بقتلها، فدعت الله فأُطلق، فتعجب وقال لعل هذا من فعل

الشياطين!! فحاول مرة ثانية، ودعت الله عز وجل فجمدت يده، فخاف وطلب منها أن تطلقه فدعت الله فأُطلق.... فحاول مرة ثالثة فجمدت يده، ولم يستطع الحركة وأخذ أخذاً شديداً حتى أَخَذَ يساوم سارّة.. أطلقيني وسوف أكرمك، ثم نادى الحرس وجعل يقول: ماذا أدخلتم عليّ ما أدخلتم عليّ إنساناً بل أدخلتم شياطاناً، أخرجوها، هنا تتجلى قدرة الله أمام هذا المجرم، رغم جبروته وظلمه وبطشه، وملك مصر بين يديه... انظروا ماذا كانت النهاية؟ إمرأة ضعيفة مسلوبة السلاح، استطاعت أن تهزمه، وفعلاً أعطاها الأموال وأهداها أمَةً جميلة تسمى "هاجر". ورجعت سارة إلى إبراهيم وإذ هو قائم يصلي، ويدعو الله أن يخلصها من هذه المحنة، وإذ بزوجته تعود إليه بعد حفظ الله لها، ومعها الكرامات والأموال وخادمة تخدمها..

هكذا ينجح الإنسان في حياته عندما يكون عبداً لله حقاً، يسعى لإرضاء خالقه فمن عاشت لله عاشت كريمة وماتت عزيزة.

هذه المرأة كانت أنموذجاً للمرأة الصالحة التي تسعى لمصلحة زوجها فقد قدمت تلك الهدية (هاجر) التي أعطاها الحاكم قدمتها زوجة لزوجها لأنها رأت أنه بحاجة للأولاد وهي إمرأة لا تلد وقد بلغت من العمر عتياً، وقد تحقق ما أرادت فقد تزوج إبراهيم عليه السلام بهاجر وأنجبت له إسماعيل وأصبح نبياً، فأين النساء اليوم عن هذه النفس الطموحة وعن تلك الأخلاق العالية والأرواح الزكية، إنها المرأة التي قال فيها رسول الله ﷺ (إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) رواه أحمد والنسائي.

[صادقة التوكل]

تلك هي هاجر زوج إبراهيم عليه السلام قصة من أعظم القصص ولدت لإبراهيم عليه السلام إسماعيل ويأتي الابتلاء العظيم، ويؤمر إبراهيم أن يهاجر بها وابنه إلى أرض الجزيرة، وسار الركب الكريم ووصلوا إلى مكة...، ومكة في تلك الفترة ليس فيها بشر، بل وادٍ بين جبال، ترك إبراهيم زوجته وابنها الرضيع وعاد قافلاً إلى الشام... فأخذت هاجر تمسك بثيابه وتقول لمن تتركنا ولم يرد عليها ولم يتردد بل توجه بكل قوة وثبات وهكذا مضى مستسلماً لله رب العالمين وصدق الله حين أثنى على إبراهيم بقوله ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[1] وَفَّى كل ما أُمر به.. نعم من يفعل مثل إبراهيم عليه السلام من يعرض ابنه الرضيع بل الوحيد للهلاك بهذه الطريقة لكنه، الإيمان الذي ملأ شغاف قلبه، مضى إبراهيم لا يلتفت سائراً نحو الشام فقالت هاجر كلمة عجيبة "يا إبراهيم آلله أمرك بهذا قال نعم" إذاً الأمر وحي لا رادّ لأمر الله هكذا شأن المؤمن نعم أيها الأخوة والأخوات ها هو الإسلام إنه الاستسلام الكامل لأمر الله ونهيه وبلا اعتراض ولا تردد. هنا قالت هاجر كلمة عظيمة تعلمنا بل تعلم الأجيال على مرّ الزمان معنى " التسليم لأمر الله" لما قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت: إذا لا يضيعنا.. يا

(١) سورة النجم، الآية: ٣٧.

الله ما أجملها من كلمة.. إذا استسلمنا لأمر الله سرنا على منهج الله إذا اتبعنا أوامر الله لن يضيعنا، لأن الضياع في التمسك بغير منهج الله، فلا عزّلنا ولا نصر لنا ولا حضارة إلا بالتمسك بمنهج الله، وإذا اعتصمنا بالله فلا نخاف عدواً ولا شرقاً ولا غرباً"... ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(١)].

فلزمْ يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركانُ

من استجار بغير الله في فزعٍ ... فإن ناصره عجز وخذلان

ثم رجعت هاجر لرضيعها، وغادر إبراهيم متوهجاً إلى الشام، ولكن قلبه مشغول مع زوجته وابنه الذين هما بمكان ليس به طعام ولا شراب ولا إنسان هنا لا يملك إبراهيم الذي جعل كل شيء لله إلا أن يرفع يديه ويدعو ربه ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[(٢)].

استنفدت هاجر الزاد الذي عندها، ولم تتسخط على قدر الله لم تيأس مع أنه انتهى ما لديها من الزاد... وليس عندها أحد، لا شجر ولا بشر ولا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

ماء ولا طعام ومع هذا بقيت صابرة محتسبة مؤمنة بأن الله لن يضيعها أي إيمان يتجلى في هذا الموقف تأملن يا أخواتي هذه القصة العجيبة قصة الإسلام الكامل لله اقتدين بها لا تعترضن على أوامر الله ولا ترددن أبدا في التمسك بمنهج الله.

صبرت هاجر بعد ما انتهى ما معها من الماء وهي تنتظر الفرج من الله وظل الرضيع يصرخ من الجوع والعطش حتى الحليب الذي كان في الضرع انتهى واحتارت الأم... وهي ترى ولدها الصغير يتلوى من الظمأ يكاد يهلك بين يديها وهي لا تملك له شيئاً... وقلب الأم رحيم تسيل دموعها على خدها رحمة بولدها ولسان حالها:

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها روح تسيل فتقطرُ

فهنا بدأت تتصرف بغريزة الأم الخائفة على ولدها فبدأت تجري تبحث عن أي مساعدة، أي طعام أي شيء المهم أنها تنقذ ولدها، ونظرت إلى من حولها فرأت أقرب التلال جبل الصفا فانطلقت نحو الصفا فلم تجد شيئاً، والكعبة في تلك الفترة لم تبنى بعد وزمزم لم تحفر بعد، فتلفتت يميناً وشمالاً فإذا التّل القريب الأخر المروة فنزلت تسعى نحو المروة، أخذت تجري بسرعة أسفل الوادي فلم تر شيئاً كان التصرف الطبيعي أن تبحث عن جبل ثالث ورابع وهكذا لكن قلب الأم لا يسمح، لأن ابنها أصبح بعيداً عنها، فكانت الرحلة الخالدة بين الصفا والمروة سبعة أشواط وقد خلدها الله وجعلها من

أركان هذا الدين في ركن من أركان الإسلام إنه الحج، وجعل من أركانه التي لا يتم الحج إلا بها، السعي بين الصفا والمروة.

لكن السؤال يا أخواتي الذي يدور بخلدنا: يقول "ماذا تفعل هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة؟ والجواب: أنها تؤكد في نفوسنا معنى التوكل الكامل على الله الذي معناه أن يبذل الإنسان السبب مع صدق اعتماد القلب على الله والرضا بقضاءه وقدره وتسليم الأمور له وحده، وفي تخليد الإسلام لهذه الأحداث والمواقف لتلك النسوة رفعة وشرف للمرأة، فأخبروني أي دين رفع شأن المرأة كما فعل الإسلام أي مذهب في البشرية جعل الكرامة للمرأة كما جعلها الإسلام بل جعل الله هذا السعي منهجاً لكل المسلمين وفي كل عام تطالعنا ذكرى هاجر رحمها الله ورضي عنها.. وهذا هو التكريم بذكر المواقف المشرفة والحياة الجميلة في ظل شريعة الله وليس تكريم الغرب الكافر وأذنابه، بجعل صورتها على صفحات المجلات وشاشات القنوات..

في أثنا هذا السعي نزل جبريل عليه السلام إلى الأرض بأجنحته (٦٠٠) وبجناح واحد حفر الأرض عند زمزم تحت عقب إسماعيل عليه السلام... والأم الخائفة تجري وفجأة سكت الصبي، فجاءت الأم تطمئن عليه إذ الماء ينبع من تحت قدمه فرحت الأم وحملت رضيعها ثم وضعت يديها حول الماء تجمعه وتقول زم زم يقول نبينا عليه الصلاة والسلام "رحم الله أم إسماعيل لو تركته لكان عيناً معيناً..." ولكن الأم لشدة خوفها على ولدها جمعت الماء

وجعلت تقول زم زم من هنا سميت زمزم جاءت قبيلة جرهم قبيلة تبحث عن مكان تأوي إليه فرأوا الطيور تحوم، عند ذلك أرسلوا رجلاً منهم ينظر فوجد الماء، وذهب يخبر القبيلة العربية الأصيلة، قبيلة جرهم من اليمن وهي أصل العرب؟ كان بإمكانهم أن يأخذوا الماء ويطردوا المرأة ورضيعها لكنهم أصحاب رجولة ومروءة فجاءوا يستئذنونها ويقولون أتسمحين لنا أن ننزل عند هذا الماء ونشرب منه ونعطيك أجراً على ذلك، فوافقت وكان مصدر رزق لهاجر وابنها إسماعيل عليه السلام. وشرب زمزم جزء من هذا الدين فهو طعام طعم، وشفاء سقم.

تعيش هاجر مع تلك القبيلة العربية جرهم وتتعلم منهم اللغة العربية وكبر إسماعيل وترعرع وجاء إبراهيم لزيارة ابنه بعد غياب طويل.. لقد اشتاق لرؤية ولده وحيده.. فرأى إبراهيم في المنان أن، يذبح ابنه إسماعيل بكره ووحيده الذي ليس له غيره فأجاب ربه وأمتثل أمره وسارع إلى طاعته ثم قابل ابنه وقبله وضمّه ثم عرض الأمر عليه ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ويذبحه قهراً ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلۡمَنَامِ أَنِّىٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ ﴾[1] الله أكبر، والله إنه ابتلاء عظيم لكن ما تتوقعون من الابن أن يفعل لقد رُبّي من صغره على التوحيد على تفويض الأمور إلى الله على الاستسلام لأمر الله لقد أرضعته هاجر هذه

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

الإيمانيات مع حليبها الذي رضعه، فبادر الغلام الحليم ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١) وهو جواب في غاية السداد والطاعة لله ثم للوالد، والتسليم لله رب العالمين لأن رؤيا الأنبياء وحي وحق، فَسُرَّ الوالد الخليل إبراهيم عليه السلام واستسلما لله وتله للجبين فأخذ إبراهيم السكين وأضجعه للذبح وجعل جبينه للأرض حتى لا يرى تغيرات وجهه حال ذبحه فلا ينفذ ما أمر به... فسمى وكبر وتشهد إسماعيل للموت فأمرّ إبراهيم السكين على نحره فلم تقطع شيئاً وحاول مراراً فلم تذبح فيقال إن إسماعيل قال يا أبت لعل الله أمرك أن تذبحني على الناحية الأخرى فأدار للناحية الأخرى لكن لم تقطع السكين شيئاً.. هل رأيتم في الوجود استسلاماً لله كهذا... تخيلوا يا إخوتي الموقف ماذا يقول الذي لا يستطيع أن يوقظ أولاده لصلاة الفجر، ماذا يقول الذي لا يستطيع أن يأخذ أبناءه للمسجد.

وتخيلن: يا أخواتي موقف هاجر رضي الله عنها ترضى وتسلم وهي ترى زوجها يقتل ولدها الوحيد لكنها امرأة مؤمنة راضية بقضاء الله وقدره، تعلم أن ما يختار الله لعبده خيراً مما يختار العبد لنفسه، إيمان يناطح السحاب.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

حارسة القرآن[١].

تعالوا نشد من أزر البواسل المسلمة التي تهافتت على حديقة الموت تريد مسيلمة الكذاب وأتباعه.. تحاصره بأفئدة تواقة للشهادة.. يتقدمهم حفظة كتاب الله بقلوبهم المفعمة، يرجون لقاء ربهم الباري ونبيهم الهادي.. صدورهم مشرعة لا يرهبها الوغى ولا يخيفها المنون.

حتى إذا انقشعت الغمة... وهدأ نقع المعارك... اعتلى الخوف القلوب المؤمنة من أصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم الفاروق عمر الذي نظر إلى استشهاد حفظة القرآن الكريم بتساؤل وجل: أيموت الحفظة والقرآن في معظمه محفوظ في صدورهم؟

تسوقه قدماه إلى أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ ليحثه على جمع القرآن الكريم.. وما إن انشرح صدر الخليفة للفكرة حتى أوكل أمر هذه المهمة لزيد بن ثابت وجمعاً من الصحابة الكرام...

وما إن انتهى العمل المهيب ورفعت الأقلام وجفت الصحف وحفظ القرآن في كتاب واحد، رأى الصديق صاحب رسول الله ﷺ وخليفته وَضَع المصحف عند سيدة من سيدات الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٨/ ١٨)، المستدرك (٤/ ١٤)، الاستيعاب (٤/ ١٨١١)، أسد الغابة (٧/ ٦٥)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧)، الإصابة (٤/ ٢٧٣).

فمن هي هذه السيدة؟

إنها حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية القرشية..

استشهد زوجها في بدر... فحزن أبوها عمر بن الخطاب فاختار الله لها رسوله ﷺ وهي لم تتجاوز الثامنة عشر ربيعاً.

فعاشت مع رسول الله ﷺ قرابة السبع سنوات تزداد إشراقاً مع الأيام، حين اختيرت من أجلاء الصحابة لتكون حارسة القرآن الكريم.

فأي شرف يعطيه الإسلام للمرأة المسلمة حين تكون حارسة للقرآن الكريم في عصر تكاثرت فيه النجوم الزاخرة في سماء الأمة الإسلامية.

هذا هو إسلامنا دين العظمة... دين الحقوق.. الدين الذي أعطى للمرأة مكانتها ولّما أراد النبي ﷺ تطليق حفصة رضي الله عنها جاءه جبريل عليه السلام.

وقال «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة» ما أعظمه من كرم أن ينزل جبريل من السماء لأجلها وأن يذكرها ربها في السماء ويثني عليها بأحسن الثناء ويزكيها بأعظم التزكية.

قضت أخر أيامها في محرابها صوامة قوامة لا تخرج إلا للصلاة بالمسجد أو عيادة مريض أو زيارة قريب، علقت بالله قلبها وحفظت للأمة ميراث نبيها فرضي الله عنها وأرضاها وجمعها بحبيبها في الفردوس الأعلى.

امرأة تغلب فطاحلة الرجال

تلك المهاجرة، التي هاجرت مع زوجها الطيار (جعفر)، قادمة من هجرتها الأولى من الحبشة، قاصدة طيبة الطيبة في لحظة تعانق فيه تباشير المجد سقف السماء، حاملة عبير الفرح، والقلوب المؤمنة تمتطي خيول العزّ مرتلة ومكبرة، تغمرها نشوة النصر المبين... ليعبد أصدق مخلوق عن السرور الكبير الذي يعمر قلبه «لا أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر» كانت بطلة هذا الموقف أسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن أبي طالب ومن معهم من مهاجري الحبشة، ليجتمع شمل الأحبة وينعموا بمجالسة من أحبوه أكثر من أنفسهم وقدموا أمره على رغباتهم واهوائهم، بعد فراق دام أكثر من عشر سنوات وكانت أسماء قد أسلمت قبل دخول النبي عليه الصلاة والسلام إلى دار الأرقم... فقدمت نموذجاً للمرأة المؤمنة المهاجرة الصابرة على بعد الأحبة رغبةً في مرضاة الله ورسوله... ولكنها بعد عودتها من الحبشة رغبت في زيارة حجرات أمهات المؤمنين لتنهل من معين النبوة باشتياق الظمآن إلى الماء العذب...

فحدث أن زارت أسماء دار أم المؤمنين حفصة بنت عمر ... فلقيها عمر بن الخطاب هناك...

فقال لها مداعباً.. آلحبشية هذه.. آلبحرية هذه!!!!

فردت أسماء: نعم...

فقال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم... لتسقط كلماته على نفسها سقوط السهم على قلب أغض.. وهي تعلم ما لقيه المهاجرون في الحبشة من صعوبات وغربة وحنين للوطن وألم وخوف لم يعلم به غير الله سبحانه وتعالى... حتى إن كُتبَ التاريخ لم توله اهتماماً بالغاً كما أولت حال المسلمين في مكة والمدينة...

لم تطق أسماء بنت عُميس أن يُظن في مهاجري الحبشة أنهم أقّل حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم وهي تسمع هذه الكلمات من الفاروق عمر... فغضبت لا تبالي بعمر.. جاعلةً سنوات الغربة منظاراً أمام عينها وأيام الفراق تسكن آهات قلبها بكل ما حملت من غضاضة وزفرات....

فردت عليه وقد تملكها الغضب: كلا والله.. كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنّا في دار البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسول الله وأيمُ الله لا أطعم طعاماً ولا اشرب شراباً حتى اذكر ما قلت لرسول الله... لتصمت الكلمات في جوف عمر وهو يرى صوت الحق يعلو في حروف أسماء مستعراً دفاعاً عن سنوات الغربة بالحبشة...

فلما جاء النبي عليه الصلاة والسلام قالت له: يانبي الله إنّ عمر قال كذا وكذا فقال النبي ﷺ: فما قلتِ؟.. قالت: قلت كذا وكذا.. قال: (ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم - أهل السفينة- هجرتان).. فعمت الفرحة قلوب العائدين من الحبشة بكلمات النبي عليه السلام وتهافتوا على دار أسماء بنت عُميس يسمعون منها حديث رسول الله ﷺ عنهم... ودفاعها الصادق عن حقهم في وجه عمر... ليسطّر التاريخ عن أسماء بنت عميس قولاً أصابت فيه المرأة وأخطأ عمر..

وبعد شهور من عودة مهاجري الحبشة ينطلق جيش المسلمين ليؤدب الغساسنة الذين لم يراعوا حرمة سفراء النبي عليه السلام... فكانت غزوة الأمراء في مؤتة ضد جحافل الروم وأعوانهم من الغساسنة... ليستشهد جعفر بن أبي طالب زوج أسماء بنت عميس... وبعد انقضاء العدة تزوجت أسماء بنت عُميس من أبي بكر الصديق الذي عرف لها قدرها وقوة إيمانها فأكرمها أيما إكرام، فأنجبت له محمد بن أبي بكر.. ثم مات عنها الصديق ﷺ فقامت صابرة محتسبة فغسلته وكفنته لقد استفادت من الدنيا دروساً عظيمة في الصبر والتضحيات حتى كونت لديها جبهات إيمانية ضد أي ابتلاء وبعد أبي بكر ﷺ.. تزوجت من علي بن أبي طالب ﷺ... فكان أن احتضن عليٌّ في داره أبناء أسماء من جعفر وابنها من أبي بكر... ويروى أن سمع علي حواراً حاداً بين محمد بن

جعفر ومحمد بن أبي بكر... كل منهما يقول لصاحبه: أنا أكرم منك وأبي خيرٌ من أبيك!!!

فطلب منها علي بن أبي طالب أن تحكم بينهما... فقالت لهما: ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر وما رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر.... فقال لها علي بن أبي طالب: وماذا تركت لنا يا أسماء؟!.... لترد عليه بثبات المرأة حين يهبها الله قدرة الحديث وحسن الرد على الزوج (ثلاثة أنت شرّهم لأخيار) وتقصد أي أمرحهم وأسعدهم لأهل بيته...

فالمرأة بهذه القوة والحيوية كيف لا تتحدى العالم، امرأة استطاعت الرد الجيد والقول المفحم للفاروق كيف يستطيع أحد أن يجاريها فنعم المؤمنة المهاجرة الصابرة أسماء التي كتبت لها مجداً سطرته بمداد من اليقين على صفحات التاريخ ليبقى شاهداً لها بصدق الإيمان وحسن المقصد وسلامة الاعتقاد لسان حالها.

فيا أيها الكون مني استمع ويا أذن الدهر عني افهم

ومضة:

من خاف شيئاً فرّ منه، ومن خاف الله فرّ إليه.

أم الدحداح الأنصارية

أم الدحداح الأنصارية واحدة من نساء الصحابة اللاتي كان لهن دور جليل في تاريخ الإسلام، وهي واحدة ممن آثرن نعيم الآخرة المقيم على متاع الدنيا الزائل.

أسلمت أم الدحداح حين قدم مصعب بن عمير ﷺ المدينة سفيراً للرسول الله ﷺ ليدعو أهلها إلى الإسلام حيث كانت ممن ناله شرف الدخول في الإسلام، كما أسلمت أسرتها كلها، ومشوا في ركب الإيمان.

زوجها الصحابي الجليل أبو الدحداح.

وقد كان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها، غنية في ثمرها، فلما نزل قوله تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾(١). قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: (نعم يريد أن يدخلكم الجنة به) قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحادحة معي في الجنة؟ فقال ﷺ: (نعم) قال: فناولني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين: إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: (اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لعيالك)، قال: فأشهدك يا رسول الله أني

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: (إذاً يجزيك الله به الجنة).

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيان في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك الله سبل الرشاد ... إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد ... فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي ... بالطوع لا مَنٍّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد ... ارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد ... قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح رضي الله عنها: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخيرٍ وفرحْ ... مثلك أدى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح ... بالعجوة السوداء والزهر البلح
والعبد يسعى وله قد كدح ... طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح رضي الله عنها على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر. فقال رسول الله ﷺ: (كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح) رواه الطبراني في الأوسط.

إنها امرأة عظيمة استجابت لنداء زوجها وخرجت مستبشرة بالأجر من ربها لقد تعلمت منه التضحية والفداء.

فقد كان ﷺ مثالاً فريداً في التضحية والفداء، فإنه لما كانت غزوة أحد أقبل أبو الدحداح والمسلمون أوزاع قد أُسقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار إلي أنا ثابت بن الدحداحة، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خشناء، فيها رؤساؤهم، خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب فجعلوا يناوشونهم، وحمل عليه خالد بن الوليد الرمح فأنفذه فوقع ميتاً ﷺ، واستشهد أبو الدحداح فعلمت بذلك أم الدحداح، فاسترجعت، وصبرت، واحتسبته عند الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً. لقد صبرت وربتْ أبناءها وبرت بهم وفاء بحق زوجها -لقد خرجت من الدنيا وتركت زينتها لأجل الله ورغبة في طاعة زوجها فتنازلت عن دنياها لأجل رضا مولاه فنعم المرأة الصالحة أم الدحاح رضي الله عنها وأرضاها.

همسة:

قال تعالى ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾[1]

(١) سورة النور، الآية: ٢٦.

أم المساكين

لقد تحدت العالم حتى لقبت بهذا الاسم الذي أعجز معاشر الرجال بلغت هذا الشرف العظيم عندما اكتفت بما يسدّ جوعتها من الطعام ويستر عورتها من اللباس فرضيت بالقليل مرددة (اللهم اجعل الدنيا في يدي لا في قلبي) فأصبحت أماً للمساكين قبل أن تكون أماً لأبنائها، ولدت في أعظم البلاد وأحبها إلى الله في مكة المكرمة وأصبحت بعد فضل الله عليها زوجة لرسول الله ﷺ فعاشت الرأفة والرحمة والمودة والحنان تحسن إلى المساكين واليتامى وذوي الحاجات.

عندما سمعت قول رسول الله ﷺ في الصحيح: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً».

وقوله ﷺ [أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله من خضرة الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم] (١) فتاقت نفسها إلى الجنة، كانت امرأة قوية، صبرت بعد وفاة زوجها عبيدة بن الحارث في غزوة بدر وهاجرت إلى الله ورسوله تاركة وطنها وأهلها من أجل الله، كان مصابها عظيماً فواساها رسول الله ثم

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم ١٤٣٢.

تزوجها فكانت أسعد امرأة إذ حضيت بلقب أم المؤمنين وإن كانت مدة إقامتها في بيت النبوة قصيرة جداً لم تتجاوز بضعة أشهر إلا أن حجرتها كانت مقصد المساكين والفقراء والمحتاجين والجائعين تقدم ما تملك لهذه الطائفة تقرباً إلى الله وسعياً إلى رضاه لقد أتمت الثلاثين من عمرها حين داهمها الموت في عزّ شبابها ومتعة صباها وعنفوان قوتها لقد كان يوم وفاتها يوماً حزيناً إذ تركت رغم قصر مدة العشرة مع رسول الله أطيب الأثر وأعمقه في قلبه في حياة هينة لينة طيبة لا صخب ولا نصب، مرّت حياتها كحلم جميل ونزهة ممتعة في روعةٍ كثيرة الأفياء والظلال، فغُسِلتْ وطُيبت وكُفنت وصلى عليها رسول الله ﷺ لتكون أكثر أجراً وأعظم فضلاً وتدفن بالبقيع ودّعها المسلمون وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ وهم يدعون لها بحسن المآب وعظيم الثواب إلى جنات النعيم يا أم المؤمنين أم المساكين زينب بن خزيمة الفتاة المؤمنة والزوجة الوفية رضي الله عنها وأرضاها

فيامن تريدين السعادة دونك الظلال الوارفة والقدوة الصالحة فانهلِ من المعين الصافي لتدركي الصالحات لتنعمي بالنزل الكريم في جنات النعيم.

أنعمِ بالحياة قبل الممات ... واقطفِ الزهر قبل ريح الشتاتِ

زبيدة الخير (أم العزيز)

كوكب السحر في سماء العظائم ربيبة قصور الخلفاء اسمها أم العزيز بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية، لقبت بزبيدة لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يحبها حباً شديداً ويلاعبها ويقرصها وهي صغيرة ويقول: إنما أنت زبيدة لبياضها فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر صاحبة ديانة وصدق وبر.

لقد كان لزبيدة حظوة قلّ أن تنالها امرأة عبر العصور... فقد نعمت بعيشة الأميرات بين كنف جدها المنصور وعمها المهدي ثم ابن عمها زوجها هارون الرشيد الذي حكم ثلاثة وعشرين عاماً وثلاثة أشهر فأعطتها الدنيا ما نقشته كتب التاريخ بمداد الذهب، في أعرق حضارة سطرها التاريخ لأمجاد والمسلمين في رصافة بغداد بين الحدائق الغناء، مبتسمة ضاحكة، وهي تسمع زوجها يمازح السحابة المائجة في السماء «أمطري حيث شئت فإن خراجك سيأتيني».... تسأل عن أحوال الأمة فتتنفس الصعداء وهي ترى زوجها يتقدم الأبطال مجاهداً في سبيل الله، ثم تراه يتقدم الحجاج قاصداً بيت الله، وفي لفة عظيمة في إعجاب وثقة بالله ترى زوجها يأدب أباطرة الروم ويجبرهم على دفع الجزية مضاعفة، إن هذه الأموال وتلك العيشة من الرفه والنعيم لم تكن لتطغى على حياتها الإيمانية، فقد كانت واعية مدركة نهلت من

معين العلم كما نهل المسلمون من نهر دجلة، فقد كانت شاعرة مجيدة، أديبة بليغة فقد أرسلت للخليفة المأمون ابن زوجها هارون الرشيد رسالة بعد مقتل ابنها الأمين تدل على رقي كعبها ومقامها في السياسة والكياسة والأدب والبلاغة فتقول «أهنئك بخلافة قد هنأت بها نفسي عنك قبل أن أراك... ولئن كنت قد فقدت ابناً خليفة.. فقد عُوضت عنه ابناً خليفة لم ألده... وما خسر من استعاض مثلك.. ولا ثكلت أم ملأت يدها منك وأنا أسأل الله أجراً على ما آخذ وإمتاعاً بما عوض» ثم تقول شعراً:

بخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل راقٍ فوق أعواد منبر

ووارث علم الأولين وفخرهم ... وللملك المأمون من أم جعفر

كتبت وعيني تستهل دموعها ... إليك ابن عمي مع جفوني ومحجري

أصبت بأدنى الناس منك قرابةً ... ومن زال عن كبدي فقل صبري

ومع هذا فقد كانت فقيهة عابدة، وكان لها مائة جارية كلهن يحفظهن القرآن الكريم، ويقرأن في بيتها كل ليلة يختمن القرآن حتى يسمع لهن دوى كدوى النحل وقد جعلت زبيدة لكلٍ منهن ورداً يومياً بقراءة عُشر القرآن، حجت وأنفقت حتى بلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم لقد كانت تتمتع بهيبة عظيمة وكلمة مسموعة في الدولة العباسية مما جعلها تُسَخّر تلك القدرة في أعمال البر والإنفاق حتى سابقت أكابر الرجال،

فلا ينسى الناس ما عاشوا عين زبيدة ولم يتجاهلوا درب زبيدة أما عين زبيدة فإنها لما كانت حاجة إلى بيت الله الحرام وهي في أُبهة موكبها رأت ما يلاقيه الحجاج وأهل مكة من المشاق في الحصول على ماء الشرب.. دعت خازن مالها وأمرته أن يدعو المهندسين والعمال من أنحاء البلاد وقالت له: اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً... فوصلت ينابيع المياه من مكة إلى حنين حتى أصبح الحجاج يشربون بكل يسر من الحرم إلى عرفة بل بمسيرة عشرة كيلو مترات تقريباً وفاض الماء يحمل اسم زبيدة في صدقة جارية ومشروع لم يُعملْ من قبل، خلد التاريخ به اسم زبيدة فأين الرجال عن هذا العمل الجليل.

حتى وصلت نفقات ذلك المشروع على حساب ذلك العصر ما يزيد على مليون وسبعمائة ألف دينار، أما درب زبيدة فقد أمرت بتمهيد الطريق الموصل بين العراق ومكة وحفرت له الآبار وشيدت المنازل وهي في طريقها إلى مكة للحج ووصلت نفقات ذلك المشروع إلى أربعة وخمسين مليون درهم. فما أجمل أن يصبح المال نعمة بين يدي صاحبه قال عبد الله بن المبارك: رأيت زبيدة في المنام فقلت لها ما فعل الله بك فقالت: غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة.

وورد أنها رأيت في المنام فقالت ما نفعني إلا ركعات كنت أركعهـن في السحر.

هكذا كانت زبيدة رحمها الله رحمة الأبرار، واسكنها دار القـرار، وبقـي ذكرها يعطر أرجاء الكون، يفـوح عبـيره لتبقـى عبـق الـذكرى عطـرة بـين المسلمين.

سلمت بيمينك يا زبيدة في الورى　　　وسقـــاك ربي زنجبيلاً أخضـــراً

بارقة:

المرأة أقوى على الصدقة من غيرها، وأسرع لمدِّ يدها بالبـذل، لـذا أمـر النبي ﷺ النساء بالصدقة، لأنها تطفيء غضب الرب وتزيـد في العمـر وتقـي مصارع السوء.

أول معلمة في الإسلام

أسلمت في وقت مبكر من بزوغ فجر الإسلام، وصبرت على ما لاقت من أذى المشركين ثم حضيت بأجر الهجرة إلى المدينة، كانت من القلائل الذين عرفوا القراءة والكتابة في الجاهلية، وكانت عاقلة فاضلة عالمة، فقد كانت تجيد الرقية منذ جاهليتها، حتى غلب على اسمها فأصبحت تسمى بالشفاء، وكان اسمها ليلى بنت عبد الله وتكنى بأم سليمان، فلما جاء الإسلام زاد خيريتها وفضلها ((وخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا)) فكانت كذلك فلما اعتنقت الإسلام رفضت أن ترقي أحداً حتى تأتي رسول الله ﷺ وتستأذنه فجاءت إليه وقالت يا رسول الله إني كنت أرقي برقى الجاهلية وأردت أن أعرضها عليك فقال اعرضيها قالت فعرضتها عليه وكانت ترقي من النّحلة [هي نوع من التقرحات تصيب الجلد] فقال: ارقي بها وعلميها حفصة: باسم الله اللهم اكشف البأس رب الناس) فاستمرت الشفاء ترقي بها المرضى وعلمتها أم المؤمنين حفصة، ومما يستوقف القارئ والقارءة أن الشفاء رضي الله عنها لم تحاول الإفادة من علمها القديم، حتى تعرف حكم الشرع فيه، وهذا من ورعها وقوة ديانتها وهذا الذي نحتاجه اليوم فأين هم الذين يذهبون للسحرة والكهنة والمشعوذين ويطلبون منهم الشفاء وهم يعلمون الحكم الشرعي في تحريم الذهاب إليهم وسؤالهم، وأنه قد يصل بهم إلى الخروج من الدين، وهو يبيّن أن العلم الحقيقي هو العلم

النافع الذي يقرب العبد من الله والذي يريد به صاحبه مغفرة الله ورحمته وأن يعبد الله به على بصيرة.

إضافة إلى أن هذه المرأة المباركة، كانت تعلم النساء القراءة والكتابة، وتنشر الدين بينهم، وهو يدل على فضلها ورجاحة عقلها، فقد استغلت هذه النعمة التي وهبها الله لها، في تعليم دينه لنساء الأمة، مع قلة المعلمات فكيف بزماننا أين هن المعلمات والدراسات عن هذا الفضل العظيم وعن تبليغ دين الله فلتبادر المسلمة إلى تعليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لنساء المسلمين فقد قال رسول الله (بلغوا عني ولو آية) ولتكوني من الجماعة الخيّرة والفئة المؤمنة والطائفة المنصورة الذين يصلحون ما أفسد الناس ويصلحون إذا فسد الناس أما الشفاء فقد أمتد بها العمر حتى كانت في زمن عمر بن الخطاب ﷺ فكان قدم رأيها، ويثق بعقلها، حتى إنه ولاهّا على شؤون السوق وقد كوّنت ما يسمى بالحسبة، وهي أول من قام بها من النساء، وكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. توفيت رضي الله عنها سنة عشرين للهجرة فجزاها الله خير الجزاء.

ومضة:

كوني متميزة- كوني إيجابية... واجعلي اهتمامك بالمستقبل لأنك سوف تقضين بقية حياتك فيه.

يخجل المجد من أصالتها

إنها أميرة القصور، في أرض دمشق العريقة، وبين ضفاف أنهارها الجارية، وزقزقة عصافيرها المتكاثرة، ومن داخل أشجار اللوز والليمون، ولدت امرأة عظيمة لم تر العين أسعد منها حظاً، ولا أعرق نسباً، فحين تطلّ بمحياها يطأطأ المجد خجلاً من أصالتها فهي وليدة الخلافة فجدها خليفة وأبوها خليفة وزوجها خليفة وإخوتها الأربعة خلفاء فهل عرفتم من هي؟

إنها سيدة القصور فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي المؤسس الحقيقي للدولة الأموية، سيدة منذ نعومة أظافرها نشأت في أسرة كريمة محبة للعلم والدين فشبت يافعة، طلقة المحيا، دمثة الخلق، ذات جمال فائق مما جعل قلوب الأمراء تهفو إليها يطرقون باب أبيها خاطبين راغبين وصلها، لكن والدها الخليفة عبد الملك تاقت نفسه لأفضلهم عقلاً، وأكثرهم عزاً، وأنبلهم خلقاً، ابن أخيه عمر بن عبد العزيز فعرضها على ابن أخيه فقبل قائلاً «وصلك الله يا أمير المؤمنين فقد أجزيت وكفيت... فتدخل فاطمة مع عمر حفيد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فولجت التاريخ من أبهى بساتينه لتظهر شجرة باسقة، طيبة الريح، قوية الأصل... أصلها ثابت وفرعها في السماء لتؤتي أكلها نعمة ورحمة على عمر بن عبد العزيز وتنجب له اثنا عشر ابناً كالورود اليانعة والأغصان الغظة الطرية، ثم توالت نعم الله على

سيدة بني أمية فقد تولى زوجها الخلافة بعد وفاة أخيها سليمان، لم يطلب الخلافة عمر لكنها جاءته تجرّ أذيالها لم يأبه بها ولم يستشرف لملكها، بل نظر إليها نظر التكليف لا التشريف فغادر إلى بيته بعد سماعه نبأ توليه الملك، وقد لبسه الهم والحزن، فاستقبلته زوجته الجميلة فرحة، متزينة بأنفس اللألئ والحلي، قد علتها أمارات السعادة والسرور، لتفجأ به مهموماً مغموماً، يتحدر الدمع من أجفانه لا يستطيع أن يتكلم مما به، فتهدئ من روعه وتسأله عما أصابه وهو اليوم خليفة المسلمين والآمر المطاع، فقال لها: ((يا فاطمة تفكرت في الفقير الجائع والضعيف والمسكين والظلوم المقهور فعلمت أن الله سائلني عنهم وأن خصمي دونهم رسول الله ﷺ فخشيت أن لا تثبت لي حجة فبكيت ثم لم يترك لها المجال))، لكثرة الأسئلة بل بادرها بأن تعيد كل ما تملك لبيت مال المسلمين وليس له إليها حاجة أو تذهب لبيت أهلها فتتمتع من طيبات الملك... حتى قال وهذا خاتم أعطانيه سليمان أخوك من غير وجه حق أعيده لبيت مال المسلمين فتنظر إليه وترضى أن تعيش معه عيشة البساطة، وهنا تتحدى فاطمة العالم بما فيه من مغريات عندما عرفت كيف تشتري عظمة القرار بكل ما في الدنيا من متاع فهل تدرك لنساء المسلمين هذا الأمر؟ لقد صبرت على هذه المعيشة القاسية بعيدة الجسد عن زوجها لمدة سنتين وستة أشهر تقريباً راضية مطمئنة لا تحولها الأيام عن قرارها.. وحينما

مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وآلت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك أعاد إلى أخته فاطمة جواهرها التي أودعها عمر في بيت المال فأجابته بكل ثقة وإيمان [والله لا أُطيعُهُ حياً وأعصيه ميتاً].

فيا أيها الكون مني استمع   ويا أذن الدهر عني أفهم

لقد جاء هذا التحول السريع، لحياة فاطمة من سيدة آمرة ناهية، إلى امرأة بسيطة تغسل ثوب زوجها الأوحد، الذي لا يملك سواه، وتعجن العجين وتطهو الطعام بلا خدم ولا حشم، راضية النفس، مطمئنة البال فكانت نعم المعين بعد الله لزوجها الذي عدل في الأمة رغم قصر مدة خلافته التي لم تتجاوز السنتين والبضعة أشهر حتى أغنى كلاً في داره، بل كانت الأعرابية لتطرق دار الخليفة تطلب النوال فتجد زوجة الخليفة وقد امتلأت ثيابها بالعجين وثياب الخليفة قد امتلأت من أثر الطين وهو يصلح جدار منزله ليتهالك جدار منزل الخليفة وهو يعمر بيوت المسلمين ليحفر هو وزوجته خنادق في أعماق التاريخ لتبقى ذكراها في سماء الكون، يهتدي بها المسلمون إلى قمة العظماء ختامها توديع الحياة، بقراءة القرآن الكريم وترتيل آياته بألسنة رطبة وأصوات عذبة ندية ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

همسة:

من عاشت لله عاشت عظيمة، وماتت كريمة، وبقي ذكرها يفوح عبيراً، تستنشقه الأرواح المؤمنة، فيذكي فيها روح العزة.

من صور الحب الرائعة

خلدتها امرأة فاضلة وزوجة وفيّة رائعة رُبِّيت في بيت خير الناس وفي كنف أول مؤمنة في الأمة إنها زينب بنت رسول الله ﷺ وأكبر بناته، وقد تزوجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنوات.

فلما بُعث النبي ﷺ وأظهرت قريش عداوتها مشوا إلى أبي العاص وقالوا له: فارق بنت محمد ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، فقال: لا والله إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش.

وكان رسول الله ﷺ بمكة، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت، وبين أبي العاص، إلا إن رسول الله كان لا يقدر أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها، وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما كان يوم بدر كان أبو العاص بن الربيع من الأسرى، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

ولما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادة لها كانت خديجة أمها رضي الله عنها قد أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا).

فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه. وردوا عليها الذي لها .

فأخذ عليه النبي ﷺ وعداً أن يخلي سبيل زينب، وكانت من المستضعفين من النساء، واستكتمه النبي ﷺ ذلك، وبعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: (كونوا ببطن يأجج[١] حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتياني بها) فخرجا مكانهما، وكان ذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها[٢] فتجهزت، فَقَدَّمَ أخو زوجها- كنانه بن عدي بن ربيعة، وهو ابن خالتها- بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته نهاراً ثم خرج يقود بها، وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذي طوي، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فَرّوعها بالرمح وهي في هودجها، وكانت حاملاً، فلما ريعت طرحت ما في بطنها، فبرك كنانه -ابن خالتها- ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو مني أحد إلا وضعت فيه سهماً..، فرجع الناس وانصرفوا عنه.

ثم أتى أبو سفيان في قلة من قريش فقال: أيها الرجل: كُفَّ عنا نبلك حتى نكلمك، فَكَفَّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما

(١) موضع على ثمانية أميال من مكة.

(٢) قال المسور بن مخرمة: أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيراً وقال: (حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي) انظر البخاري (٣٧٢٩ن ٥٢٣)، مسلم (٢٤٤٩).

دخل علينا من محمد، فيظن الناس أن ذلك على ذل أصابنا، ولعمري ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة، أرجع بها، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنا رددناها فَسِرْ بها سراً، وألحقها بأبيها، ففعل، وخرج بها بعد ليال، فسلمها إلى زيد وصاحبه فقدما بها على رسول الله ﷺ.

فلما كان قبل فتح مكة خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام -وكان رجلاً مأموناً، بمال له وأموال لرجال من قريش، فلما رجع لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت جنح الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها، فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الصبح، فكبر وكبر معه الناس صرخت زينب من صفة النساء: أيها الناس: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. فلما سَلَّمَ رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: (أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟) قالوا: نعم، قال: (والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت منه ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم).

ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال: (أي بنية: أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له).

ثم إن رسول الله ﷺ بعث السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: (إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به).

فقالوا: يا رسول الله: بل نرده عليه فردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً... ثم احتمله إلى مكة –فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ثم قال: يا معشر قريش: هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله والله ما منعني من الإسلام عند رسول الله ﷺ إلا تخوفي أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت.

ثم خرج مهاجراً حتى قدم على رسول الله ﷺ.

قال ابن عباس: فرد عليه النبي ﷺ زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئاً بعد ست سنين ثم عاشت رضي الله عنها حتى ثمان من الهجرة، وتوفيت في عهد النبي ﷺ وكان يحبها ويثني عليها.. واستمر أبو العاص معها على حبه ومودته...، حتى لحق بها بالرفيق الأعلى في شهر ذي الحجة سنة اثنتي عشر في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.

ولا عجب أن تسمع هذا الـزوج المحـب في بعـض أسـفاره إلى الـشام يقول:

ذكرت زينب لما ركبت ارمـا فقلت سقياً لشخص الحرمـا

بنت الأمين جزاك الله صالحةً وكل بعل سيثني بالذي علما

فأي وفاء لزوج كوفاء زينـب لزوجهـا لكنهـا ابنـه رسـول الله وأمهـا خديجة بنت خويلد الوفيـة وصـدق البـاري سـبحانه ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[1].

(١) سورة الأعراف: الآية: ٥٨.

إيمان وبطولة نادرة

أعادت زوجها إلى الله، لقد تغلبت على العادات السيئة، والأهواء الرديئة، والنزعات الشيطانية فكانت قوية الشخصية، صادقة العبارة، شجاعة أبيّة، تتحمل الأخطار وتقطع الفيافي والقفار تبحث عن زوجها بعد أن فرّ من الله ورسوله إنها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة أسلمَت يوم الفتح ولكن زوجها عكرمة بن أبي جهل فَرّ إلى اليمن، فاستأذنت رسول الله ﷺ في طلب زوجها فأذن لها وآمنه، فخرجت تطلب زوجها حتىٰ أدركته ببعض تهامة، وقد ركب سفينة في البحر، فلما جلس في السفينة نادى باللات والعزى، فقال أصحاب السفينة، لايجوز ههنا أحد يدعو شيئاً إلا الله وحده مخلصاً، فقال عكرمة، والله لئن كان في البحر وحده إنه في البر وحده، هنا أدركته امرأته فقالت: جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس، وقد استأمنت لك فأمنك.

فرجع عكرمة مع امرأته فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت) فلما بلغ باب رسول الله ﷺ استبشر ووثب له رسول الله ﷺ قائماً على رجليه فرحاً بقدومه وقال: (مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر) فقال للنبي ﷺ إن هذه —

يعني زوجته أم حكيم- أخبرتني أنك أمنتني فقال ﷺ: (أنت آمن) فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبد الله ورسوله، وأنك أبر الناس وأصدق الناس، وأوفى الناس، قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ راسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال ﷺ (اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك).

فقلت: يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فأعمله.

فقال: (قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله)، قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قُتِلَ يوم اليرموك شهيداً في خلافة أبي بكرﷺ.

وأما أم حكيم فصبرت واحتسبت وهاجرت مجاهدة في سبيل الله فحضرت وشاركت في المعركة ضد الروم واقتتل الفريقان قتالاً شديداً وظهرت أم حكيم في بسالة عظيمة، فقتلت سبعةً من الروم بعمود الفسطاط، فبورك في النساء الصامدات.

خواطر جياشة:

سأتعب نفسي أو أصادف راحة

فإن هوان النفس في كرم النفس

أمامة بنت الحارث

[صاحبة الوصية المشهورة]

من ربات الفصاحة والبلاغة، والرأي والعقل.. خطب الحارث بن عمرو ملك كنده إبنتها، فزوجها أبوها منه، فقالت أمامة لإبنتها: إن الوصية لو تركت لفضل أدب، لتركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل.. أي بنية.. إن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.. أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة، يكن لك عبداً وشيكاً...

يا بنية: إحملي عني عشر خصال، تكن لك ذخراً وذكراً: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب، ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم حصن التدبير.

ولا تفشي له سرّاً، ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سرّه، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.. ثم اتقي بعد ذلك الفرح إن كان تَرِحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير،.. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له موافقة... واعلمي أنك لن تصلي إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت.

فحملت ابنتها منه، فعظم موقعها عنده وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا اليمن بعده ..[١].

(١) ينظر ((نساء فاضلات)) عبد البديع صقر.

أميرة تحدت الأمراء

جاء في رحلة ابن بطوطة:

أن بعض خلفاء بني العباس فرض على أهل مدينة «بلخ» ضريبة مرتفعة جداً.. فضجت النساء من هذه الضريبة وذهبن إلى «الأميرة» يشتكين لها ويستغثن بها فأرسلت إلى الرسول الذي جاء لجلب المال: ثوباً مكَّلاً بالجواهر واليواقيت يساوي أضعاف الضريبة وقالت له: إذهب بثوبي هذا إلى الخليفة فإني افتديت هؤلاء الضعفاء به.

فلما حضر الرسول إلى الخليفة ومعه الثوب.. قال الخليفة: إذا كانت هذه المروءة عند سيدة فنحن أولى بمثل هذه المروءة.. ورد إليها الثوب.

فلم تشأ الأميرة أن تلبس ثوبها الذي وقع عليه نظر أمير المؤمنين حياء وأدباً، فباعت نصف ما عليه من الجواهر وبنت به مسجداً ومدرسة، وأمرت بدفن الباقي تحت سور المسجد.. لتعمير المسجد من جديد حينما يهدم..

همسة:

- لا تسافري في طلب نزهة في مواطن الشبه والإختلاط فيقسو القلب وتخسر النفس.
- ولا تقعدي عن السفر إلى الآخرة وأنت إليها راحلة.
- إذا رأيت الإنسان يشتري الخسيس بالنفيس، ويبيع العظيم بالحقير فاعلمِ أنه سفيه.

[ملكة البيان]

تلك هي: الزرقاء بنت عدي الكوفية

من ربات الفصاحة والبيان، والعقل والرأي.. حضرت يوم صفين مع علي بن أبي طالب ﷺ ولما تم الأمر لمعاوية دعاها لتأتيه، فلما قدمت عليه قال لها: هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: سبحان الله، أنَّى لي بعلم ما لم أعلم، وهل يعلم ما في القلوب إلا الله... قال: ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفِّين، وأنت بين الصفَّين توقدين الحرب وتحضين عليها؟ قالت: بلى. قال: فما حملك على هذا؟ قالت: يا أمير المؤمنين، مات الرأس، وبُتِر الذنب ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غِيَر، ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر. قال: صدقت، فهل تحفظين كلامك؟ قالت: والله ما أحفظه. قال: لقد سمعتك تقولين: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشَّتْكم جلابيب الظُّلَم، وجارت بكم عن قصد المحجَّة، فيا لها فتنة عمياء، صمَّاء بكماء، لا تسمع لنا عقها، ولا تنساق لقائدها: إن المصباح لا يضيء في الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه...

أيها الناس.. إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصص، فكأن قد اندمل شعب الشتَّات، والتأمت

كلمة العدل، ودَمَغَ الحقُّ باطله، فلا يجهلن أحد فيقول: كيف العدل وأنيَّ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ألا وإن خضاب النساء الحنّاء، وخضاب الرجال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده، ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شاركتِ علياً في كل دم سفكه. قال: أحسن الله بِشارَتَك، وأدام سلامتك، فمثلك بشَّر بخير وسَرَّ جليسه.

قال: أَوَ يَسُرُّكِ ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سررت بالخبر فأنّى لي بتصديق الفعل... فقال معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته. أذكري حاجتك. قالت: يا أمير المؤمنين، آليت على نفسي ألاّ اسأل أميراً أعنْتُ عليه أبدا ومثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد عن غير طِلبة. قال: صدقت، وأمر لها وللذين معها بجوائز وكسوة..[1].

همسة:

للقلب ستة مواطن يجول فيها، ثلاثة سافلة وثلاثة عالية:

فالسافلة: دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له.

والعالية: علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده.

(١) ينظر «العقد الفريد» لابن عبد ربه «مع التلخيص».

المرأة العصرية

فمن هي المرأة العصرية في نظر الغرب؟ من هـي المـرأة المتميـزة؟ هـي التي تتخلى عن الدين وتقلد الغـرب، بـل مـن هـن المشهورات في الغـرب والاتي لهـن مكانـة؟ إنهـن ملكـات الجـمال، صـاحبات الموضـة، الممـثلات والمطربات، هذا هو منظار الغرب وأتباعه.

أما الإسلام فجاء ليؤكد مبدأ عظيماً غفل عنه الغـرب ومـن خـدع بـه، وهو أن المرأة ليست جسداً فقط، توضـع عـلى غـلاف المجـلات وشاشـات القنـوات، تتباهـا بعرضـهن الفـضائيات؟ فالإسـلام، لم يرفـع المـرأة بهـذه القضايا، كلا، بل رفع المرأة بالتربية الفـذة، والعلـم الجـم، والخلـق العـالي، والعبادة والتقوى، بالنموذج الفريد لإصلاح الأمة، والنهوض بهـا إلى قمـة الحياة، فالإسلام جاء ليؤكد أن العلم لا يحتاج إلى تبرج، والنهضة والحضارة لا تحتاجان إلى انحلال أخلاق، بل الأمة القوية هـي التـي تبنـى هويتهـا ولا تذوب في هوية غيرها، فالمرأة في الإسلام تشارك في الدعوة والعلم والجهـاد وجميع مجالات الحياة فهي عنصر فعال في صناعة الحياة.

وهذا مثال عظيم يؤكد هـذا المعنـى، "أم هـانئ" أعطـت الأمـان لأحـد المشركين حتى قال لها رسول الله ﷺ "قد أجرنا من أجرت يـا أم هـانئ" هكـذا وصلت المرأة في الإسلام إلى هذه المكانة في وقت لم يكن للمرأة أي قيمـة، فكـم

من النساء في التاريخ الإسلامي وحتى اليوم من هن خير من كثير من الرجـال، نعم لأن بعض الرجال يعيش بدون هـدف.. فقـط عـلى لعـب الـورق والنـرد والمباريات والسهرات والجلسات.. لا إنتاج ولا عطاء ولا دعوة أي حياة هذه؟

يكفي المرأة شرفاً أن الله ضرب بها مثلاً في القوة والصرامة والثبات على الحق، جعلها مثلاً يقتدي بها جميع العالم.

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهـــــلال

الفصل الرابع

أفنان وأفنان

همة تناطح السحاب

الموفقة لا ترى لنفسها فضلاً، إنما ترى الفضل كله لله وحده، فلا تعجب بعملها، بل تشكر الخالق المنعم المتفضل، القائل ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1]. فإذا علمت المؤمنة عظمة الرب احتقرت كل عمل، وتعبدت مع الحذر من رد العمل وعدم قبوله، والخوف من العتاب على التقصير فيه، وتأملِ حال الفطناء، كالملائكة الذين يسبحون الليل والنار لا يفترون ومع هذا قالوا [سبحانك ما عبدناك حق عبادتك]، والخليل عليه السلام صبر على النار، وقدم ولده للقربان، وطعامه للضيفان، وعدّ نفسه مقصراً، فقال "﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى ﴾[2]"، ورسول الله ﷺ يقول"لا يدخل أحداً منكم الجنة عملُه، قالوا ولا أنت قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" متفق عليه، وأبو بكر الصديق ﷺيقول"وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله"، وعمر بن الخطاب ﷺ قال"لو أن لي ملء الأرض لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر"، وابن مسعود رضي الله

---

(١) سورة الحجرات، الآية : ٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية : ٨٢.

عنه يقول "ليتني إذا مت لا أبعث" وعائشة رضي الله عنها تقول "ليتني كنت نسياً منسياً" فعلى العاقلة أن تكون على خوف من ذنوبها، وإن تابت منها وبكت عليها، لكن كثيراً من النساء ركنت إلى قبول توبتها وكأنه قد قطع لها بها، ولو قُدر ذلك، وقبلت توبتها فعلاً، بقى الخجل من فعل المعصية، والتجرأ على الله بفعلها، وهؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، يعتذرون عن الشفاعة يوم القيامة، خشية من عدم القبول، ويذكرون ما حدث منهم، ويعدونه خطيئة في حق ربهم، مع أن الله غفر لهم وتاب عليهم، لكن الخجل من عدم القبول لا يرتفع، وما أحسن قول الفضيل بن عياض رحمه الله "وآسوأتاه وإن عفوت، فأفٍّ والله لمختار الذنوب ومؤثر لذة لحظة، تبقي حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وإن غُفِر له".

فالحذر... الحذر... من كل ما يوجب الخجل، وهو أمر قلّ أن تنظر فيه تائبة، أو تتفكر فيه زاهدة.

همسة:

يا من بدنياه اشتغل ... وغره طول الأمل

الموت يأتي بغتةً ... والقبر صندوق العمل

غداً وفي غدٍ ... تكون خيبة الأمل

العفيفة

أيتها الدرة المصونة، والجوهرة المكنونة، بعفتك عن الخطايا وتعاليك عن الدنايا، نلت الأمان ورضا الرحمن، وتقدير واحترام بني الإنسان، هنيئاً لك طهارة قلبك وكرامة نفسك، ما أعظم شرفك حين زكاك الباري، فذكر سورة باسم امرأة لعفتها، "ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها" ذكرها من بين ملايين البشر، لطهارتها وعفتها، وصيانة شرفها. وتلك سارة زوج إبراهيم عليه السلام، يراودها الملك الفاجر عن نفسها، فتدعو ربها بدعاء فيه معنى العفة والشرف "اللهم إن كنت أحصنت نفسي إلا من زوجي فأكفني شرّ هذا الفاجر" فيستجيب الله دعاءها، فتتجمد يدا الفاجر، ولم يستطع الوصول إليها.

أيتها العفيفة: تأملي قوله تعالى "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾"[1]. تجدين أن الله وصف المؤمنات بأنهن غافلات كلمة جميلة ولطيفة جداً في معناها، أي غافلات عن لوثات الطباع السافلة، فلم تخطر الفاحشة على بالهن... هنيئاً لهن هذا الشرف العظيم... أيتها الموفقة تدبري قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٤.

فتشهد كل جارحة بما عملت، لتدرك كل مؤمنة أن عليها أن تحفظ جوارحها، عما يغضب ربها ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾(١).

وقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٢).

وتشهد أعضاء المسيء بما جنا   كذاك على فِيهِ المهيمنُ يَختمُ

إشراقة:

النساء العفيفات كنوز مخبوءة، ومعادن أصيلة، نادرة الوجود.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٤.

حـرارة اللقــاء

إن الشركة في كل شيء، ولاسيما في الحياة الزوجية، تعني العطاء قبل الأخذ، ومن هنا فإن المرأة الذكية هي التي لا تجعل شعار حياتها الأخذ باستمرار دون عطاء، (**قصة**) ويروي لنا أحد علماء الاجتماع أن زوجاً شكا إليه من أنه لا يعود في المساء إلى منزله منهوك القوى بعد عمل يوم طويل، إلا ويجد زوجته ضيقة الصدر، متعكرة المزاج، مقيمة بانتظار وصوله، ليخرج بها من المنزل، ويوفر لها أسباب التسلية، والترويح عن النفس، فهي تتوقع دائماً منه أن يعطيها كل شيء، ويوفر لها كل أنواع التسلية والترويح، دون أن تُكَبّدَ نفسها مشقة إعطائه، ما يحتاجه من راحةٍ وسكينة في بيته.

(**قصة**) وثمة سيدة أخرى، تُصّر على المشاركة في جميع المناسبات الاجتماعية، وزيارة الأهل والأصدقاء برفقة زوجها، فلا تترك له لحظة من راحة؛ وإذا رفض مرة أو قاوم، تروح تشكو وتتذمر، ومن طرائف ما تفرزه الحياة الزوجية أن رجلاً قال لامرأته... كل يوم تطلبون هات هات ما فيه يوم تقولوا خذ. قالت خذ هذا الزبالة أخرجها معك..

الرومانسية

أما المرآة الصالحة الرومانسية فهي عكس هذه وتلك، حيث تدرك تماماً ما يلقاه زوجها، من مشقةٍ أثناء تواجده خارج المنزل؛ ولذا فهي توجد في بيتها أسباباً مختلفة، من الاهتمامات، التي تخفف عن الزوج أعباء الحياة، ساعة يؤوب

إلى منزله، كما أنها لا تتنازع معه على نوعية طعام، أو على تسمية الأولاد، أو على شراء ثوب، تستقبله عند الباب حال وصوله والماء البارد بيدها، وتتناول شماغه أو غترته لتضعها في مكانها وتخلع حذاءه، وتهيئ غداءه، فهذه المرأة، جديرة بأن تملك فؤاد زوجها، وتجبره على احترامها وتقديرها، بل لو طلبت عينيه فلن يبخل بهما عليها... ومن أرادت التأكد... فالتجربة خير برهان.

همسة:

كوني أرق من النسيم إذا جرى

وأعزّ في الدنيا من الجوزاء

اللوامة تجني الندامة

والمرأة المثالية ليست امرأة لوامة، فلا تعتاد لوم زوجها إذا أخطأ في شيء أو قصر أو فشل، بل تقدم له العون اللازم والكلمة الطيبة عندما يخفق في النجاح أو يحالفه الفشل.

يروي أحد الأطباء النفسيين قال:

((حدثني زوج مُطَلِّق، فقال: هل تعرف ما الذي هدم سعادتنا الزوجية وصار بنا إلى الافتراق؟

إنه إصرار زوجتي على إلقاء اللوم كل اللوم على كاهلي عندما أفشل في عمل أو أصاب بخسارة. ولقد بلغ بها الأمر أن تلومني حتى عندما أصاب بالرشح! وكذلك اتهمتني بأني كنت السبب في انتقال العدوى إليها!)).

هذا حال المرأة اللوامة، أما الأخرى التي يتطلع إليها كل رجل، فهي التي تجعل همها الأول إشعار زوجها بأنه محبوب، فإذا أخطأ التمست له عذراً، وإذا فشل أخذت بيده وطيبت قلبه. وبهذه الوسيلة تستطيع المرأة الذكية مجابهة معظم العواصف، التي لا تسلم منها أسعد العلاقات الزوجية وأكثرها انسجاماً وتفاهم.

امرأة يرغبها الرجال الناجحون

إن الرجل الناجح يساوي= إستراتيجية بيت ناجح تتربع على عرشه امرأة مثالية، تستطيع أن تستخرج بأنوثتها ومثاليتها، كل ما في الرجولة من عبقرية وإبداع وخير ونماء، وتملك يداً ساحرة، وأنامل لطيفة، تمس أوتار الرجولة، فإذا هي شهامة ومروءة وكرم وفداء، وتتمتع بروح عالية.. توقظ روح البطل، فتستعيد الحياة على يديه عمقها وأصالتها..

وإذا كان وراء كل رجل عظيم امرأة – كما يقولون– فإن وراء كل رجل متعثرٍ أو منهارٍ أو وضيعٍ امرأة أيضاً!

وشتان بين الأولى... والثانية..

أما الثانية.. فسحقاً لها وبُعداً!!

وهي لا تعنينا..

فما يهمنا ونتطلع إليه هو المرأة الأولى، تلك التي تدفع الرجل إلى آفاق النجاح والإبداع والعبقرية.

فهذه الخصائص تتمثل فيما يأتي:

أولاً: (تلد زوجها مرة ثانية!!)

نعم.. المرأة المثالية امرأة مبدعة ومبتكرة، ومجددة!! تعرف دائماً كيف تجعل زوجها يولد من جديد، فالإنسان الناجح لا يولد مرة واحدة، وإنما

يُولد باستمرار وبشكل متواصل، وكل مرة يُولد فيها يمكنه أن يحقق نجاحاً من نوع جديد يتناسب مع الولادة الجديدة. أما الإنسان الفاشل فهو الذي وُلد مرة واحدة، فأصبح جامداً ساكناً لا يستطيع مواكبة تطور الحياة وتجددها.

والمرأة التي تستطيع أن تلد زوجها مرة ثانية، وثالثة ورابعة.. هي المرأة الأم، فالأمومة بمعناها الواسع الذي يعني الإبداع والعطاء والحنان والحب، هي خاصة الخصائص في المرأة السوية.

فالمرأة كالبحر الذي يحمل السفن أو يبتلعها. والمرأة بطن مغلق واسع الأرجاء.

وهكذا فالرجل يصبح لها ابناً هائلاً يطلب يقظتها وحنوها. ولكنها إن لم تحرسه، فإن بطنها يستحيل إلى مخنق ضخم، يبحث عن الاحتفاظ بمن ولد.

ولهذا السبب فإن الرجل – أي رجل – يمكن بواسطة المرأة أن يولد مجدداً، يوماً بعد يوم، أو أن يموت!.

ثانياً: المشاركة في صنع الهدف

كثير من الرجال لا يعرفون ماذا يريدون، ومن ثمَّ فإن أول ما تصنعه المرأة مع الرجل، أن تعاونه على إيضاح آماله ومطامحه في ذهنه، أي أن تعاونه

على أن يدرك ما الذي يبتغيه من الحياة، ثم تعمد بعد ذلك إلى تقديم مشاركتها الحكيمة لتحقيق أهدافه أو أهدافهما – ولا فرق؛ حيث إن أهداف الرجل ينبغي أن تتوحد مع أهداف شريكة حياته، والعكس. لأن وجود الهدف المشترك هو أساس الزواج السعيد.

وليس الذي يهم ما هو الهدف؟. فقد يكون هدفاً علمياً أو أدبياً، وقد يكون هدفاً مالياً مادياً، أو سياسياً، وقد يكون الهدف تكوين أسرة كبيرة.. ليس المهم ما الهدف، بقدر ما يهم اشتراك الزوجين في التطلع إليه والسعي لتحقيقه. فليس الحب أن ينظر المحبان أحدهما في عيني حبيبه، وإنما الحب أن يتطلع الحبيبان كلاهما في اتجاه واحد! فهما شخصان في شخص، على حد قول المحب في محبوبه:

أنا أنت وأنت أنا وكلانا شخص واحد في الهوى

وقال الآخر:

قال لي المحبوب لما زرته من ببابي قلت بالباب أنا
قال لي أخطأت تعريف الهوى بعدما فرقت فيه بيننا
فمضى عام فلمّا جئته أطرق الباب عليه موهنا
قال من بالباب قلت انظر فما ثَمّ إلا أنت بالباب هنا
قال لي أحسنت تعريف الهوى وعرفت الحب فادخل يا أنا

ثالثاً: كلما حقق هدفاً تساعده في صنع هدف جديد

عندما يستطيع البعض تحقيق ما كان يصبو إليه من هدف، فإنه يكف عندئذ عن عمل أي شيء هام، ولا يحاول أن يصنع هدفاً جديداً، شأن كثير من أساتذة الجامعات – مثلاً– الذين يُطَلِّقون البحث العلمي طلاقاً بائناً بمجرد حصولهم على درجة الدكتوراه!

ومن هنا يجدر بالمرأة، أن تحث زوجها كلما حقق هدفاً، على أن يصنع له هدفاً جديداً؛ لأن وجود الهدف من أكبر العوامل الدافعة للعمل، وبالتالي المحققة للتقدم والتطور.. يقول برنارد شو:

((إنني أهاب النجاح وأخشاه! فالنجاح معناه أن مهمة المرء في هذه الدنيا قد انتهت، حتى ليمكن تشبيهه بالعنكبوت الذكر، تقتله أنثاه متى حقق مهمته التنسالية! وإنما أحب أن أكون ماضياً على الدوام في الطريق إلى النجاح، مستهدفاً هدفاً ماثلاً أمام عيني لا وراء ظهري!)).

رابعاً: تقف بجوار زوجها حتى يحقق أهدافه

عمل منطقي تقوم به كل امرأة حصيفة، عندما تقف بجوار زوجها، معاونة إياه بالكلمة الطيبة، والابتسامة المشجعة، وتدفعه دفعاً متواصلاً نحو أهدافه المنشودة؛ فأي نجاح يحققه ليس له وحده، وإنما هي شريك معه فيه..

أعانت زوجها على صنع مركبة (قصة ولا أروع)

قصة ميكانيكي (شاب)، استخدمته ((شركة الإضاءة الكهربائية)) في ((ديترويت))، وكانت تنقدُه أحد عشر دولاراً في الأسبوع، لقاء عشر ساعات من العمل المتواصل كل يوم.

وكان هذا الشاب، إذ يعود إلى بيته مساء، يقضي نصف الليل في حظيرة خلف منزله، عاكفاً على محاولة صنع نوع جديد من المحركات.

وكان والده، الفلاح الكهل، يرى أن هذا الذي يفعله ابنه مستغرقاً فيه شطراً كبيراً من الليل، إنما هو ضرب من العبث!.

بل لقد كان هذا هو رأي الجيران، وأهل الحي أيضاً، فكانوا يسخرون منه، ويهزءون به، ولم يتصور أحد منهم أن ما يفعله الشاب، قد يسفر عن شيء ذي بال.

سخر الجميع منه، وضحكوا عليه كلهم، إلا زوجته؛ فقد كانت تقضي معه طيلة الوقت في الحظيرة، تشد أزره، وتلهب من حماسه، وعندما يحل فصل الشتاء، كانت تحمل له في يدها مصباح الغاز، لتضئ له، بينما أسنانها تصطك، ويداها تسري فيهما الزرقة، من شدة البرد، ولكنها كانت عامرة القلب بالإيمان بالنجاح، واثقة بأن ما يفعله زوجها، سينتهي إلى شيء رائع

فريد، حتى لقد كان زوجها يطلق عليها لقب "المؤمنة". واستمرت معه على هذا الحال سنوات ثلاث.

وفي سنة ١٨٩٣م أشرف العمل على نهايته، وكان الشاب يومئذ قد قارب الثلاثين من عمره، وفي يوم من أيام تلك السنة، تناهى إلى سمع الجيران صوت غريب، لم يألفوه من قبل، فهرعوا على إثره إلى نوافذهم، فرأوا عجباً- رأوا الشاب الذي هزئوا منه "هنري فورد" وزوجته يركبان عربة تجري بلا خيول، وشاهدوا بأعينهم المحملقة المذهولة، تلك العربة العجيبة تصل إلى نهاية الشارع ثم تعود.

ويومئذ شهد العالم الحديث، مولد اختراع جديد كان له أبلغ الأثر في تطور المدنية، وإذا كان "هنري فورد" هو أبو هذا الاختراع، فقد استحقت زوجته الصابرة المآزرة عن جدارة أن تكون "أم" هذا الاختراع.

وقد سُئل "هنري فورد" بعد أكثر من أربعين عاماً من تاريخ اختراعه: ماذا ينشد أن يكون لو عاش على الأرض مرة أخرى؟

أتدري أيها القارئ وأيتها القارئه بماذا أجاب؟

أجاب بقوله: "لا يهمني ماذا أكون بقدر ما يهمني أن تكون زوجتي بجانبي في هذه الحياة الثانية".

خامساً: تبث في الرجل روح الحماسة والأمل

من أخص خصائص المحبة لزوجها، أن تعمل على بث روح الحماسة والأمل.. تقول مار جريت كولكن "لا ينبغي للزوجة أبداً أن تقول لزوجها: إنه إنسان فاشل.. وفي رأيي أن من أهم واجبات الزوجة، أن تستغل فترة الإفطار لتتحدث إلى زوجها، حديث الأمل والتفاؤل والنجاح؛ ذلك أن الزوجة التي تقول لزوجها: إنه لم ينجح في شيء إنما تهيئ هذا القول لأن يصبح حقيقة واقعة".

ولا شك أن وجهة نظر المرأة في الحياة، ومدى مقدرتها على رفع روح الرجل المعنوية، ومقدار استعدادها لبث روح التفاؤل في نفسه– هي أحد أهم العوامل الكامنة وراء نجاح معظم الرجال.

ولذلك يقول إيمرسون: "إنني أنشد شخصاً يحفزني على أن أصنع ما أستطيع أن أصنعه".

أي أن إيمرسون: "كان يتطلع إلى من يلهبه ويحمسه. وفي نظري أن أكثر شخص يمكنه أن يجعل الرجل يشع بالحماسة، هو الزوجة.

ومن أفضل الوسائل التي تلجأ إليها المرأة، لكي تبث روح الحماسة في زوجها، هو أن تساعده على التظاهر بالحماسة، إن لم يكن يحسها، فلن يلبث حتى يستشعرها.

يقول وليم جمس الفيلسوف الأمريكي الشهير: "إذا أردتم أن تستشعروا عاطفة، فتظاهروا كما لو كنتم تحسون هذه العاطفة فعلاً. فلو شاء أحد منكم أن يكون سعيداً، فليتصرف كما لو كان سعيداً. وإذا شاء أن يكون تعيساً، فليتصرف كما لو كان تعيساً. وإذا رغب في أن يكون متحمساً فليتصرف كما لو كان متحمساً".

وللمرأة قدوة حسنة في خديجة رضي الله عنها؛ بمواقفها المتميزة الذكية التي كانت تقفها مع النبيﷺ، مما كان يُؤَثّر فيه أبلغ الأثر، ويدفعه دفعاً نحو مواصلة تبليغ الرسالة؛ فكانت تبث في قلبه روح الحماسة والأمل بكلماتها الصادقة، وأفعالها الرائعة.

وهل ينسى أحد تثبيتها للنبي ﷺ، وتشجيعها إياه؟ أم هل ينسى أحد قولتها المشهورة التي جعلت النبي ﷺ مطمئناً بعد اضطراب؛ لما نزل عليه الوحي أول مرة:

"كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق". [رواه الشيخان].

سادساً: تشاطر زوجها فرحه بالعمل الرائع

لن تستطيع المرأة أن تسعد الرجل، وتدفعه إلى النجاح، إلا إذا كانت لا تزال إبداعيتها الخاصة، وقدرتها على التسلية، تتنافسان.

ولتفهم المرأة جيداً: أن الرجل بحاجة شديدة، في بحوثه وإنجازاته، إلى نظرة عميقة من المرأة، ذلك أن الرجل المبدِع الذي ينبسط باستمرار نحو المستقبل، يتصف بأنه في صيرورة دائمة، ويبقى من جرّاء ذلك، طيلة حياته طفلاً مصاباً بالدهشة، وهو يريد في بحثه هذا أن يجعله بحث اثنين.. هو والمرأة إلى جانبه. شأنه في ذلك شأنه أيام كان طفلاً يفتش عن نظرة الاستحسان -والتواطؤ- من أمه.

إنه بحاجة إلى مساهمة زوجته؛ لأنه يبحث عن الحماسة التي تردد صدى حماسته. إنه يرغب في أن تشاطره زوجته فرحه بالعمل الرائع.

سابعاً: (لا تثبط زوجها وهو في كامل انطلاقته)

متى تثبط المرأة زوجها؟

إنها تفعل ذلك، عندما لم تعد تمتلك روح الحماسة والأمل والخيال، وتصبح عاجزة عن أن تبني القصور في الأندلس[1]، فتتجه بصورة نهائية نحو حاضر مستقر ثابت، لا تفلح في الخروج منه، ويصبح المستقبل، والأفكار، والمشروعات، كلمات فارغة من المعنى، ولا تدرك أفكار الرجل، كبيرة كانت أم صغيرة، فتتراكم الضغائن في بيت الزوجية.

وتبقى المرأة عندئذ مسمّرة بحاضر نفعي، كما يستمّر تمثال بقاعدته.

---

(١) كناية عن الخيال الذي فقدته.

وتسقط في نزعة واقعية باردة، وتفقد المخيلة فقداناً تاماً، إن رجليها كانتا من قبل، بفعل طبيعتها على الأرض، أما الآن، فهي تغوص فيها، ولم تعد ترى شيئاً من السماء. وتصبح نزعتها الواقعية حساباً، دونما أدنى انطلاقة نحو اللانفعي، والمرح، ولذة الحياة.

وتنتقل، على الغالب، إلى معسكر الأشحاء، والبخلاء والورثة، الذين يتخاصمون على مزق مورّث ميت، ولم تعد ترى -سواء كانت ربة منزل أم تعمل في الخارج- غير المباشر ذي المردود، وجفّت كل دهشة إليها.

وعندئذ تخنق إبداعية الرجل، فتسخر دونما رحمة من «صبيانيات» الرجل. وترعد، وتدمدم؛ لأن الرجل يضيّع وقته في «مماحكة» الأشياء، مع أن ثمة أموراً كثيرة ينبغي أن يقوم بها.

وإذا أردنا أن نقارن بين تلك المرأة التي تجندل زوجها، والمرأة الفذة التي تتحدى العالم والتي نتطلع إليها نجد هويتها تتحدد كالآتي:

لديها استعداد مسبق:

- للانفتاح على الحياة بما يحقق السعادة الحقيقية في ظل الأحكام الشرعية.
- للصبر على المنغصات لتحقيق الأمنيات.
- للاستقرار المتجدد.

- للأفكار الكبيرة والأعمال المؤثرة.
- للتخيل الخصب.
- للوضوح العميق.
- للاستمتاع بأي شيء، مباح من شأنه أن يعمق جذور المحبة بين الزوجين.
- الأسلوب المبدع مع زوجها والتعامل الراقي مع أفكاره وأحاسيسه وإبداعاته.

وعندما ننتقل إلى المرأة ((الكارثة)): نجد هذه الصفات تتلف غالباً وتصبح:

- تمركزاً حول الذات، تطلب لنفسها كل شيء... فتريد التسوق كل شهر، وكل زواج تحضره بثوب جديد، وكل مناسبة تود المشاركة فيها.
- انقياداً كالحاً، وصمتاً مستهجناً.
- روتينية مدمرة من أكل وشرب وملل ونوم.
- نزعة نفعية عقيمة، لا تفكر إلا في نفسها، بل حتى الأطفال إذا بكوا ليلاً، ربما لا تكلف نفسها، أن تقوم لإسكاتهم لراحة زوجها.
- فقدان المخيلة فقداناً كاملاً.
- تهكماً هدّاماً.

- شعوراً لا ينتهي بالملل.
- عجزاً عن تحقيق هدف شريف في الحياة، على شاشتها جالسة، ولبرامجها متابعة، ولتخيلاتها قاتلة، ولتوافه الأمور لاهثه، فيا لها من ((كارثة)).

دعت لابنها فَرُدَّ بصرُه

إحساس الأم بابنها إحساس يترجم تصوراً واقعياً لمعايشة الأم لابنها.

فإن كان يتألم تتألم معه.. وإن كان مسروراً تفرح معه.

ولنقم الآن برحلة، مع أم تمتلك تلك التصورات، وتلك الأحاسيس.

تزوجت رجلاً يُدعى إسماعيل.. وكان عالماً جليلاً درس على يد الإمام مالك.. وكان ثمرة هذا الزواج المبارك، إنجاب طفل أسموه «محمداً». وما لبث أن مات زوجها «إسماعيل» تاركاً لها ولابنها الصغير مالاً كثيراً.. فأخذت الأم تربي ابنها التربية الإسلامية المباركة.. ولعلها أرادت أن يكون عالماً، من علماء المسلمين وكانت نظرتها نظرة ذات أبعاد، تستشرف به المستقبل...

ولكن مع الأسف الشديد، هناك إعاقة.. فما هو هذا العائق؟

إن ابنها ولد أكمة أي (أعمى) منذ صغره.. وعندما يكون أعمى فمن الصعوبة أن ينتقل من شيخ لآخر.. ومن بلد لبلد، طالباً للعلم.

وبخاصة في تلك الظروف الصعبة.

فكيف إذاً السبيل لحل تلك المشكلة؟ لا مستشفيات تعالج العمى.. والمال لا يكفي لاستئجار سائق يأخذ بيده حيث أراد. إذن: لن يكون لي معين من أهل الدنيا؟ الحل الوحيد أن نرفع حاجتنا إلى الرحيم الودود؟ لكن

هل سيذهب العمى وكيف؟ نعم عندنا هذا التساؤل في قاموسنا، لكن في قدرة الله كل شيء كما بيّن سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، أليس هو الذي قال للنار المحرقة وقد ألقى الأعداء فيها نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام موثقاً بالقيود: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2].

والعجيب أنه قال برداً وسلاماً، لأنه لو اكتفى بالبرد لقتله بردها، إذن ما الحل؟ وتأتي الإجابة ((إنه الدعاء)) باب فتحه رب العالمين.. وأروني من يستطيع أن يغلق هذا الباب المفتوح عبر التاريخ.

.. لا ورب الكعبة.. لم ولن يستطيع أحد إغلاقه؟

إنه طريق المظلومين.. المحتاجين.. المنكسرين المخبتين لِقَيّوم السموات والأرضين.

فاختارت الأم ((الدعاء)).

وبدأت تدعو ربها.. خالقها.. موجدها.. السابغ عليها نعمه التي لا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[3].

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية:٦٩ .

(٣) سورة النحل، الآية:١٨ .

تدعوه بقلب خالص.. ونية طيبة، أليس قد فتح باب الرجاء والأمل، بل أخبر أنه يجيب الدعاء، ويكشف البلاء: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1].

فطرقت باب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن... وفي إحدى الليالي... وعندما كانت نائمة.. إذ ترى فيما يرى النائم.. الخليل إبراهيم عليه السلام فقال لها: ((يا هذه قد رَدّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك))

وفي الصباح إذ ترى ابنها مبصراً.

سبحانك يا رب.. سبحان ذي الجلال والإكرام وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

((إن الله حَيِيٌّ سِتّير يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين[2])).

وها هي ثمرة الدعاء.

وأنت أختي الكريمة: أنت الرابحة مع الدعاء فلك ثلاث هبات: إما أن تكون الاستجابة في الدنيا. وإما أن يدفع الله عنك من الشر بمثلها. وإما أن يدخرها الله شفاعة لك يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير ج ٢. رقم ١٧٥٣.

بعد أن رَدّ الله البصر ((لمحمد بن إسماعيل)).

بدأت الأم توجهه للعلم.. فألفّ بعد ذلك كتاباً من أصح الكتب في هذه الدنيا بعد كتاب الله عز وجل.

((صحيح البخاري)) للإمام

(محمد بن إسماعيل البخاري)) أعرفته يا أختي الفاضلة

لقد رزقه الله البصر والبصيرة وسعه الحفظ.

فقد حفظ كُتِبَ عددٍ من الأئمة وهو في السادسة عشرة من عمره.

وأيضاً في هذا السن... بدأ رحلته الطويلة في طلب العلم.. وقد اصطحب معه والدته وأخاه في تلك الرحلة، التي ابتدأها بالحج إلى بيت الله الحرام.. ومن ثم طاف مراكز العلم والحديث في العالم الإسلامي آنذاك.. وأتعب جسده وأضناه.

وعرّض نفسه للمخاطر والأهوال، في سبيل جمع الأحاديث النبوية ونشرها للمسلمين.

وليس هذا العمل من الأعمال الميسورة.

فإن هناك متابعة لرواة الحديث... ومتابعة لسند الحديث ومتنه. بل ما كتب حديثاً في صحيحه إلا بعد أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويستخير الله ثم يقوم بكتابته فكتب ٧٤٣٠ حديثاً تقريباً.

شهادة العلماء له:-

- يقول محمد بن بشار "محمد بن إسماعيل البخاري" ((هو أفقه خلق الله في زماننا)).
- وقال الإمام أحمد بن حنبل ((ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل)).
- قال إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة ((ما تحت أديم السماء، أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل)).
- ويروي لنا الحاكم بسنده أن مسلماً صاحب الصحيح جاء إلى البخاري، فقبّله بين عينيه، وقال ((دعني حتى أقبّل رجليك، يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث وعلله)).
- ونختم بقول الحافظ بن حجر العسقلاني صاحب كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) قال ((لو فتحت باب الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس، ونفدت الأنفاس، فذلك بحر لا ساحل له)).

وهذا هو "البخاري" الذي يعتبر ثمرة من ثمرات والدته، التي أجهدت نفسها بالدعاء له، لكي يرجع الله بصره، وقامت على تربيته والإنفاق عليه بكل بما تملك.

فيا أختي الفاضلة.. اجتهدي لتعليم ابنك والرفع من قدره وشأنه.

والآن من تجني لنا ثمرة من أفضل ثمار القرن العشرين؟؟

قادت زوجها الساخر المستهزئ إلى نور الإيمان

إنها امرأة.. عشقت البذل والعطاء والصبر على الأذى... لكنها كانت تعاني من زوجها الذي كان يعمل مدرساً... وقد تجاوز الخمسين من عمره.

مع بلوغه لهذا العمر كان سليط اللسان.

يسخر... وينتقد هذا الدين... هذا الرجل حدثت معه حادثة... دعيه يحدثنا عن تلك الحادثة.

لقد قال: «لي زوجة مؤمنة، هادئة، متزنة، وأنا دائماً في صخب وتوتر أعصاب، قلت لها: قومي لزيارة بعض الأقارب، فلبست، وبينما نحن على درجات العمارة، زلقت رجلها، وهوت على درجات السَّلم، فأصيبت بكدمات في وجهها ورضوض في رجلها... أعدتها إلى المنزل، وألغيت الزيارة، وقلت في نفسي أشياء وأشياء.

ونمنا تلك الليلة، واستيقظتُ الساعة الثالثة ليلاً، فوجدت زوجتي على مصلاها تقول «لك الحمد، قدّرت فلطفت ربِ كانت عنايتك كبيرة رائعة حفت بي، ومن يقع مثلي كما وقعت في نفس الظروف، فإن أقل ما يمكن أن يصيبه كسور في جمجمته..

يا ربي إني راضية... شاكرة... حامدة... ربي قدرت فلطفت فلك الشكر والحمد.

فكيف كان وقع ذلك الدعاء على الزوج الساخر من دينه؟

لقد هزت الكلمات وجدانه... ومشاعره... فاستمعي يا أختي لما يقول، فقد قال «ووقع في خاطري أن الإيمان أمن وأمان. طمأنينة وهناء.

فقمت إلى جانبها أحمد الله معها.

وقلت في نفسي: لماذا الضياع؟... وإلى متى أقيم في دروب الغواية...

إلى متى الفرار من الله؟

وواصل حديثه قائلاً «راحة النفس وسكينة القلب، وسعادة الروح بقرب الله، إنه الإيمان الذي يصنع المعجزات فاشهد أني ملتزم بديني، سعيد بإيماني بعد هذه الحادثة»

وهكذا تمسك بثوب الطاعة والالتزام بدين الله تعالى.

وكان ذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل زوجته الصالحة.

«أبصرتْ بَعدَ العمى»

أسلمت وهي في مكة... وأرادت أن تنشر هذا النور لنساء قريش، فأخذت تدخل على نساء قريش سراً، لكي تدعوهن وترغبهن في الإسلام.

وواصلت طريقها في الدعوة إلى الله.

ولكن المشركين كشفوا أمرها... ولمكانة قومها عند قريش، لم يريدوا قتلها، ولكنهم أرادوا إعادتها إليهم.

فحملوها على بعير... ليس عليه هودج أو أي شيء آخر .

وبدأت الرحلة

فمشوا ثلاثة أيام... لم يطعموها

ولم يسقوها

وبينما هم كذلك... نزلوا... واستظلوا... وتركوها في الشمس، وغطّوا في نوم عميق، تاركين هذه المرأة الموحدة لله رب العالمين.

تركوها تحت لهيب أشعة الشمس، فقد ضُرِبتْ وعُذِبتْ حتى عميت...

فنام الناس وهدجت الأصوات، ولكن كيف ينام مقروح الجفون؟.

تنام عيناك والمظلوم مُنتبهٌ يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

قامت في الليل تناجي ربها وتدعوه، أن يرد عليها بصرها... فما بزغ نور الفجر إلا وهي مبصرة... سبحان من وسع سمعه الأصوات.. يجيب دعـوة المضطر إذا دعاه.

واستغرب المعذِبونَ لها ذلك، حتى قال قائلهم: هذا سِحرُ محمد...

وبينما هم يغطون في سبات عميق... حدث معها هذا الموقف.

قالت ((بينما أنا في وسط الليل، إذ بأثرِ شيءٍ بارد وقع عليّ منه ثـم عـاد، فتناولته فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً، ثم نزع ثم عـاد أيـضاً، ثـم عـاد فتناولته، فشربت منه ثم رفع ثم عاد أيضاً، فصنع ذلك مراراً حتى رويت، ثم أفضت مباشرة على جسدي وثيابي، فلما استيقظوا إذا هم بـأثر المـاء، ورأوني حسنة الهيئة.

فقالوا لي ((انحللت، فأخذت سقاءنا فشربت منه؟

فقلت: ((لا والله، ما فعلت ذلك. بل كان من الأمر كذا وكذا))

فقالوا ((لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننـا، فنظـروا إلى أسـقيتهم فوجدوها كما تركوها.

ولما علموا أنها صادقة أسلموا في نفس الوقت.

يا أختي الفاضلة إنها ((أم شريك)) القرشية.

لقد رضيت بالصبر على البلاء، فأفاء الله عليها الفرج ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[(١)].

قال رسول الله ﷺ:

((من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ، ومن كانت الدنيا همهُ، جعل الله فقرهُ بين عينيه، وفرّق عليه شملهُ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له))[(٢)].

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير ج٥ حديث رقم ٦٣٨٦.

المرأة المثالية في أعين الرجال

يعشق الرجال، النساء وهن كذلك، لكن تبقى المرأة لها مواصفات تجعل من يعيش معها يعيش سعيداً دائم البشر، طلق المحيا بل تجعل كل رجل يتمنى أن تكون شريكة حياته بتلك المثابة، إنها المثالية في الحياة والتعامل وسأطرق هذا الموضوع في عدة صفحات مقبلة لنعيش هذا المعنى، ولكي تعرف المرأة من هي المرأة المثالية في أعين الرجال والتي يرغبونها ولا يرضون بسواها.

(معاً على حلو الحياة ومرها)

المرأة المخلصة هي التي لا تتخلى عن زوجها في الأزمات، فكما تعيش معه أيام الرخاء تعيش معه أيضاً: أيام الشدائد، دون تذمر أو سخط، فليست الحياة تسير على وتيرة واحدة دائما... وتلك سُنة الله في عباده.

ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد، ما يذكره الأصمعي عندما قال: أصابت الأعراب مجاعة، فمررت برجل منهم قاعد، مع زوجته بقارعة الطريق، وهو يقول:

يا رب إني قاعد كما تــرى ... وزوجتي قاعدة كما تــرى

والبطن مني جائع كما ترى ... فما ترى يا ربنا فيما تــرى؟!

خاطــرة:

ثمانية لابد منها على الفتـــى ... ولابد أن تجري عليه الثمانيــة

سرورٌ وهَمٌّ واجتماعٌ وفرقـــةٌ ... وعسرٌ ويسرٌ ثُمّ سقمٌ وعافية

الناجحة في كسب قلب زوجها

لكل رجل أشياء يحبها، وأخرى يكرهها... والمرأة الصالحة الناجحة هي التي تتوافق مع زوجها في عاداته الحسنة غير السيئة، وتحرص على تحقيق رغباته المشروعة، ثم تتجنب الأمور التي يكرهها.

ولعل هذه الصفة، هي أكثر الصفات تأثيراً في قلب الرجل وعقله، فالجمال يزول مع الأيام، والمال عرضة للزوال في أي لحظة، وهكذا سائر الصفات... أما موافقة روح المرأة لروح الرجل، وتلاقي رغباتها مع رغباته، وانسجام عاداتها مع عاداته، فهذا هو ما يبقى بين الزوجين.

يؤكد هذا المعنى سليمان الحكيم، فيقول:

"الجمال كاذب، والحسنُ مُخِلف، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة"

ويرى صعصعة بن صوحان، أحد كبار الخبراء والمشاهير في معرفة انساب العرب، أن صفة الصفات في المرأة المثالية هي موافقتها للرجل وانسجامها معه... فقد قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة:

"أي النساء أشهى إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى.

قال: فأيهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهن مما ترضى.

قال: هذا النقد العاجل! فقال: صعصعة: بالميزان العادل!".

ومن صفات المرأة المثالية أن تكون:

"امرأةً جملية من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، مواتية لبعلها.

لم تغضب زوجها قط

" من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي.

قال له: وكيف ذلك؟

قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً... قلت في نفسي: فلأتطهر وأصلي ركعتين شكراً لله.

فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي.

فلما خلا البيت من الصحاب والأصدقاء، قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت:

على رسلك يا أبي أمية كما أنت.

ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فاتركه.

وقالت: إنه كان لك في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعرف أو تسريح بإحسان.. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولك!!

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع!

فقلت: أحمد الله واستعينه، وأصلي على النبي وآله وسلم، وبعد:

فإنك قلت كلاماً إن ثبتِ عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك.. أحب كذا وكذا.. وأكره كذا وكذا.. وما رأيتِ من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها!

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فأذن له... ومن تكره، فأكره؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة في البيت.

قلت: من هي؟

قالت: ختنك.. [ي أم زوجتك].

فالتفتت إليّ وسألتني: كيف رأيت زوجتك؟

قلت: خير زوجة.

قالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها إلاّ في حالين: إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها؛ فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.. فأدّب ما شئت أن تؤدب، وهذّب ما شئت أن تهذب.

قال شريح: فمكثت معي عشرين عاماً، لم اعتب عليها في شيء، إلا مرة وكنت لها ظالماً!!!)). قال بعض الحكماء لامرأته إذا رأيتني غضبت فرَضِـيّني، وإذا رأيتك غضبتي راضيتك وإلا لم نصطحب.

غربيات لا يبغين بالإسلام بدلا!!

أختاه.. وأنت تتراجعين إلى الوراء وتنزلين عن مكانك العالي، ألم يخطر ببالك أيُّ امرأة أنتِ؟! وأيُّ دين تنتسبين إليه؟!! ألم تسمعي عن تلك النصرانية التي أروي لكِ قِصتَها من تجرِبتي في الغربة دون واسطة وقد كنا في رحلة دعوية وترفيهية في مدينة سياتل، وما إن غربتْ شمس ذلك اليوم إلا وقد جاءت البشائر بإسلامها وانشراح صدرها لدين الإسلام وارتدائها للحجاب.

وعندما سُئلتْ كيف تم ذلك؟ قالت: إن سبب اعتناقها للإسلام هو ما رأته من مظاهر الحشمة وخلق الحياء بين المسلمات ومِن تَركهن للاختلاط والتبرج الذي دمر قيم الأسرة والمجتمع في بلادهم وما رأت في ذلك من البهاء والجمال، وكيف انجذبت إلى نداء الروح الذي تحرك في سويدائها حين اصطف المسلمون للصلاة خاشعين متذللين لله على الجانب الآخر في مشهد هو غايةٌ في التأثير..

أما الشيء المثير حقاً في هذه الحادثة، أن أولئك النسوة اللائي كُنّ سبباً لهدايتها، كنّ كلهنّ الأمريكيات اللاتي اخترن الإسلام على ما سواه من الأديان وتعبدن لله لا سواه وعضضن بالنواجذ على تحقيق لا إله إلا الله.. واقتدينَ بإمهات المؤمنين، فلبسنَ الحجاب دون أن يُرى من إحداهن شيء!!

بل ألم تسمعي عن تلك المرأة النصرانية الأخرى التي رأت فتيات مسلمات يمشين في الطريق مُتوجاتٍ بوقار الحشمة والحجاب؛ فحرك مرآهنّ في نفسها ساكناً! وبعد أن سَألتْ عن خبرهن وقيل لها إنهن يَدِنَّ بالإسلام، اتجهت إلى دراسة هذا الدين حتى انتهى بها المطاف إلى اعتناقها للإسلام!! إن هذا المشهد الذي قد يظنه البعض عادياً وغير مؤثر، قد كان له الدور الأول في إنقاذ نفس إنسان من النار وجريان مثل أجر الأخت المهتدية لهاتيك الفتيات المحجبات وهن غافلات لا يدرين عن أمرها شيئاً.

أما مشاعر أولئك المسلمات الجديدات بعد ذلك وسعادتهم وراحتهن فلا تسألي!! هذه مجموعة من الغربيات اللواتي ذقن طعم الإيمان ولذة الاستقامة يقلن واحدة تلو الأخرى:

- زادني الحجاب جمالاً.
- الحجاب إعلان عام بالالتزام.
- الحجاب شعار تحرر.
- الحجاب يوفرلي مزيداً من الحماية.
- عندما أسلمتُ أصررتُ على ارتداء الحجاب بالكامل.. من الرأس إلى القدم.

- الحجـاب جـزء منـي، مكـن كيـاني، فقـد ارتديتـه قبيـل إسـلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.

وأخريات منهن يهتفنَ تباعاً:

- شعرتُ أني كنت دائماً مسلمة.
- اكتسبت من الإسلام القوة لمواجهة الناس.
- أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي.
- وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي.
- قبل إسلامي كنتُ لا شيء، والأجـدر باسـمي –قبـل إسـلامي– أن يكون "لا شيء".
- أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين.
- صارت الصلاةُ ملاذي والسجود راحتي وسكينتي.
- فرحتي لا تُوصف.
- شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه.
- المرأة الغربية ليست متحررة كما تتوهم المسلمة.
- المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد.
- أُحسُّ في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي.
- تعرفتُ على وحدانية الله فبكيت.

- نطقتُ بالشهادتين فسرتْ في عروقي قوة خارقة.
- الإسلام هو الذي أعطاني الأمان.
- اكتشفت كنوزاً كنتُ أجهلها.
- حياتي بدأتْ عندما أسلمت، وسنواتُ عمري الماضية لا قيمة لها.

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر الذي يستدر الدمعة من الجفن، ومن هذا الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله كلمات اليونانية "تيريز" تصرخ حتى إن صوتها ليكاد يصل إلى نجوم السماء الزهر: "لا أريد أن أتحدث، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبداً، ولو كتبتم كتباً ومجلدات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي، أنا مسلمة، مسلمة، مسلمة، قولوا لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي، قولوا لهم عَبْر وسائل الإعلام كلها: "تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها بلباسها، بأعمالها، بأفكارها. و٤٠٪ من الأمريكيات يرفض الحياة الزوجية في غير الإسلام.

وهكذا تشق الصادقة طريقها إلى الله لا تبالي بالعوادي فالنسر الأشم هو من يطير ضد الريح والسمكة القوية هي من تسبح ضد التيار.. والجنة غالية تحتاج إلى اجتهاد[(١)].

(١) لكي لا يتناثر العقد. بتصرف يسير.

غربيات يصرخن

((امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة)).

[هـذا اعـتراف للـصحيفة الأمريكيـة ((هيلـسيان ستانـسبري)) وهـي صحيفة متجولة تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية. لها مقال يومي يقرؤه الملايين عملت في الإذاعة والتليفزيـون والـصحافة أكثـر مـن عـشرين سـنة وزارت جميع بلاد العالم.

زارت المـدارس والجامعـات ومعكـسرات الـشباب والمؤسـسات الاجتماعية في القاهرة وفي ختام زيارتها سجلت هذا الاعتراف:

((إن المجتمع العربي ((المسلم)) كامل وسليم، ومن الخليق بهـذا المجتمـع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي فعندكم أخلاق موروثة تحـتم تقييـد المرأة وتحتم احترام الأب والأم وتحتم أكثر من ذلـك: عـدم الإباحيـة الغربيـة التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا، ولذلك فإن القيـود التـي يفرضها مجتمعكم عـلى الفتـاة، صـالحة ونافعـة، لهـذا أنـصح بـأن تتمـسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم.. امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بـل ارجعـوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير.. لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة.. وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملؤُون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائها قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات للمخدرات والرقيق.

إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي قد هدّد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق)).

انتهى كلامها وهو كلام واضح من امرأة مجربة نسوقة إلى دعاة الاختلاط وإلى فتياتنا المخدوعات في كل قطر من أقطارنا الإسلامية فهل من مدّكر؟!![1] أ.هـ.

((قروية ساذجة في حجرها طفل.. أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية)).

وهذا اعتراف لأستاذة مصرية اسمها ((عزيزة عباس عصفور)) تعليقا على قرار أصدره وزير العدل المصري بتعيين بعض النساء حقوقيات في نيابات الأحداث، فقالت:

---

(١) المرجع السابق.

لو كانت الخطوة التي خطاها وزير العدل بتعيين «الحقوقيات» في نيابات الأحداث كسبا للمرأة لكنت أول من تدعو الله أن يبارك للمرأة فيها، أما وإني ممن خرجتهن كلية الحقوق في الأفواج الأولى، وزاولت المحاماة أكثر من عشر سنين، بَلَوْت فيها حلاوتها ومرارتها معا، فإنني أعلن بصراحة أن النيابة معاً تتنافيان مع طبيعة المرأة وتتعارضان مع مصلحتها، وأعلن إشفاقي على البقية الباقية من فيتاتنا المتفقات اللاتي ما زلن بخير أن يجربن هذه التجربة المريرة، المضنية، وأهيب بهن أن ينجون بأنفسهن من عاقبة لا يدركن مرارتها إلا بعد أن يقعن فيها، ويهدمن بأيديهن صرح سعادتهن. لقد تحطمت أعصابنا -نحن المحاميات- من إرهاق المهنة وعنائها ومن محاربتنا للطبيعة وتنكبنا طريق الواقع، بالله ماذا تكون العاقبة إذا خضعت النائبة لطبيعتها واستجابت لحقها في الحياة فتزوجت ورزقت أطفالاً فاقتلعتها من بينهم طبيعة التحقيقات والانتقالات والمعاينات، وتركت زوجها قعيد الدار يربى الأولاد ويرضع الصغار وهي في الخارج تدور في كل مكان كأنها رجل الشارع يهجر بيته آناء الليل وأطراف النهار. وماذا تصنع إذا عينت في بلاد نائية عن أهلها، وليس بها مكان لسكن غير استراحة الموظفين، هل تبيت ليلتها مع زملائها من الرجال؟.. إن الدين والأخلاق والعرف الحميد تحتم أن تعيش المرأة بعيدة عن مواطن الفتنة والإغراء والزلل، واختلاطها، على هذه الصورة يعرضها لخطر

محقق وضرر مؤكد، ويضيع سيرتها في ألسن الناس تلوكها بالمذمة والمسبة والعار.

إن رسالة المرأة في الحياة لها جلالها وقدسيتها التي لا تعادلها حقوق تمنحها ولا امتيازات تعطاها وإن كثرت.

ثم تقول:

((ولقروية ساذجة في خجرها طفل خير للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية، وحكمة الله فيكن أن تكن أمها))[1] أ.هـ.

((لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثالاً لك..))

في مقابلة صحفية أجرتها إحدى المجلات العربية مع ((نادية أوبيرييه)) وهي امرأة فرنسية متخصصة في الفن الإسلامي قالت:

((وجدت المرأة العربية ((المسلمة)) محترمة ومقدرة داخل بيتها أكثر من الأوروبية، وأعتقد أن الزوجة والأم العربيتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا، وربما كان الأمر متخلفاً بالنسبة للمرأة العاملة التي تقع عليها أعباء كثيرة بالإضافة إلى أعباء البيت)).

وتوجه نصحها للمرأة المسلمة فتقول:

---

(١) من كتاب اعترافات متأخرة محمد بن عبد العزيز المسند.

((لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثالاً لك.. لأنها أنموذج رديئ لا يصلح مثالاً يحتذى))[1].

إن بقاء المرأة في بيتها، واهتمامها برعاية زوجها وأولادها هو سر نجاحها وسعادتها واستقرار الأسرة وتماسكها، ولاسيما أن الإسلام أمر المرأة بطاعة زوجها في المعروف كما أمر الرجل بإكرام المرأة واحترامها والعطف عليها فقال عليه الصلاة والسلام.

((استوصوا بالنساء خيراً)) **متفق عليه.**

بل إن بقاء المرأة في بيتها هو سر نجاح الأمم وتفوقها كما شهد بذلك العقلاء من الفلاسفة والمفكرين.

وخروجها وتبرجها واختلاطها بالرجال من أكبر الأسباب المؤدية على انهيار الأمم وسقوط الحضارات، ومن الأمثلة على ذلك الحضارة الرومانية...

((أنا أنثى.. أعتز بأنوثتي.. أنا امرأة..))

هذا الاعتراف للأديبة الكويتية (ليلى العثمان) حيث كتبت تقول:

((سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى بـ ((حرية المرأة)).. تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها.. وعلى حساب كرامتها.. وعلى حساب بيتها وأولادها..

---

(١) رسالة إلى حواء الجزء الثالث ص ٨٥.

سأقول: إنني لن أحمل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل.. نعم أنا امرأة.

ثم تقول:

((هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت الذي هو جنة المرأة – على أنه السجن المؤبد وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يشد عنقي .. وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي خشية أن تسبقه خطواتي؟؟

لا.. أنا أنثى أعتز بأنوثتي.. وأنا امرأة بما وهبني الله.. وأنا ربة بيت.. ولا بأس بعد ذلك أن أكون مشاركة في عمل خيري خارج نطاق الأسرة بين بنات جنسي.

ولكن ويارب أشهد بيتي أولاً.. ثم بيتي. ثم بيتي.. ثم العالم الآخر..))[1].][2] أ.هـ.

((إني أتعس امرأة..))

هذا الاعتراف رسالة كتبتها الممثلة الأمريكية ((مارلين مونرو)) لفتاة طلبت نصيحتها إلى أفضل طرق التمثيل فقالت:

[((إلى هذه الفتاة وإلى كل فتاة ترغب في العمل في السينما: احذري المجد احذري كل من يخدعك بـ الأضواء.. إني أتعس امرأة.. أفضل البيت والحياة

---

(١) كتاب (اعترافات متأخرة) المشار إليه سابقاً.

(٢) (المرأة بين العفة والقانون) لمصطفى السباعي ص ٣١٥.

العائلية الشريفة على كل شيء.. إن السعادة الحقيقيـة للمـرأة هـي في (الحيـاة العائلية الشريفة الطاهرة.. بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز السعادة للمـرأة بل للإنسانية)).

وتقول في النهاية:

((لقد ظلمني كل الناس.. وإن العالم في السينما يجعل من المرأة ((سـلعة)) رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة.. إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما والتمثيل..

إن نهايتهن كنهايتي[1].

---

(١) من كتاب (اعترافات متأخرة) محمد بن عبد العزيز المسند.

أي الطريقين تختارين؟

يا أختي الغالية

طريقُكِ يا عَفّةَ الأمنيــــات ... شموخٌ، ودربُ الخنا عاثــره
دعيهـم لينعـقَ كـلُّ دعــــيّ ... بعَلْمَنـــــةٍ فجّــةٍ ســافـره
ففي كل يومٍ لهــــم صيحــةٌ ... تفــوحُ برغبتهـــا العاهــره
سَيرمون نحوكِ حقدَ السنين ... وتُجْلِــبُ خيلُهـم الثائـــره
ويَذرون دمعَ النصوحِ الخؤون ... يُريدون هتكَ العُرى الساتـره
يُمَنُّون أرواحَهـــم أنْ يــروْك ... على سكرةِ الملتقى حاســره
فكوني منارةَ خيــرٍ وهَـــديٍ ... تفيضُ على الأنفس الحائـــره
وسيري بطهركِ رغم الحقــود ... وقولي لهـم: إنّني الظافـــره
أنا النورُ في حالكِ المظلمـات ... أنا قِصـــةُ العـزةِ النـاصره
انا السترُ يُضفي السناءَ البَهيّ ... إذا أعلنــتْ بالخنى السافـره
أنا وردةٌ مــن قِطـافِ العفاف ... تُدل بروعتِهـــا العاطـــره

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد نشأت فكرة هذا الكتاب من إرادة النفع والتثقيف للمرأة المسلمة وضرب الأمثلة لنساء ضربن أروع المثل في الثبات واليقين وموضوعات أخرى دعمت بها هذا المؤلف ليكون شاملاً لكل متأمل ليجد المسلم والمسلمة نفسه أمام نماذج رائعة ينقل قصصها المجتمعة ولتنقلها المسلمة لصويحباتها وطالباتها لتعلم الفائدة وقد اجتهدت في تنويع موضوعاتها وصياغة أسلوبها وترتيب فقراتها لتروق للمتصفح وتفتح الأفق للمتلمّح والله أسال أن ينفع بهذا الكتاب ويجعله خالصاً لوجهه الكريم...

كتبه راجي عفو ربه الكريم

إبراهيم بن محمد الزبيدي

عضو الدعوة والإرشاد المتعاون بوزارة الشؤون الإسلامية

والمشرف العام على موقع طريق العزة

www.ezzahway.com

غرة ذي الحجة من عام ١٤٣١هـ

في عاصمة الثقافة العربية – الرياض

المصـــادر المراجع

- القرآن الكريم:
- صحيح البخاري للإمام البخاري – دار السلام للنشر – الرياض.
- صحيح مسلم للإمام مسلم– دار السلام للنشر– الرياض.
- المستدرك للحاكم – دار الكتاب العربي – بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة– محمد ناصر الدين الألباني– المكتب الإسلامي– بيروت.
- صحيح الجامع الصغير– محمد ناصر الدين الألباني– المكتب الإسلامي– بيروت.
- الطبقات الكبرى لابن سعد دار بيروت للطباعة والنشر– بيروت.
- الاستيعاب لابن عبد البر– دار نهضة مصر– القاهرة.
- أسد الغابة لابن الأثير – دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- سير أعلام النبلاء للذهبي – مؤسسة الرسالة بيروت.
- البداية والنهاية لابن كثير– دار المعرفة بيروت.
- الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر– مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- النساء فاضلات– عبد البديع صقر – دار الاعتصام القاهرة.
- لكي لا يتناثر العقد– عبد الرزاق آل مبارك– الرياض.
- اعترافات متأخرة– محمد عبد العزيز المسند– دار الراية للنشر– الرياض.

- رسالة إلى حواء – الجزء الثالث محمد رشيد العويد– دار الوطن الرياض.
- المرأة بين العفة والقانون – مصطفى السباعي– المكتب الإسلامي – بيروت.
- نساء منسيات – إبراهيم الزبيدي– دار طويق– الرياض.
- تجربتي مع شخصي – هند الجزيرة– مكتبة العبيكان – الرياض.
- نساء صنعن علماء– أم إسراء بنت عرفة بيومي. دار المعرفة بيروت.
- نساء من ذاكرة التاريخ– محمد حامد. دار مكتبة الهلال– بيروت.
- نساء صالحات من التاريخ الإسلامي– محي الدين عبد الحميد– مكتبة الخدمات الحديثة– جدة.
- أسعد امرأة في العالم– د. عائض القرني– العبيكان– الرياض.
- الزوجة المثالية– د. سعيد بن مسفر– المكتب التعاوني بالسلي– الرياض.
- كيف تكونيين امرأة رمضانية– مريم السالم– دار القاسم الرياض.
- أفكار الداعيات– هناء بنت عبد العزيز– دار طيبة الخضراء– مكة المكرمة.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمة الشيخ الدكتور ناصر العمر	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول: إشراقات أمام الفتيات	٩
من تكون	٩
الأم الأولى	١١
الأنس بالله حياة القلب	١٣
هكذا يصنع الإيمان	١٥
الحب الجميل	١٧
شعارها الله أكبر	١٩
مربية الأجيال	٢١
المرأة الاقتصادية	٢٤
حور مقصورات في الخيام... ميزة ما أعظمها	٢٨
أجل... وليس الذكر كالأنثى	٣٠
ينادون بحقوقها وهم يعلمون الحقيقة	٣٣
دور هام	٣٥
عطاء على كاهل المرأة	٣٦
خادمة في ثوب عروس	٣٨
بائعة فانٍ بباقٍ	٤٠
رفعت شعار أتحدى العالم	٤١

فكري بعقل	٤٣
في الكون آيات وعجائب	٤٥
ما أعظم الخالق	٤٨
ذاقت لذة الإيمان	٥٤
ماذا أعطاها الإسلام	٥٦
هل تعاليم الإسلام قسوة على البشر	٦٠
الفصل الثاني: قصة التحدي	٦٣
نريد ألفاً مثل هذه المرأة	٧١
أول شهيدة في الإسلام	٧٤
صابرة على الحق	٧٦
صمود بأرض فلسطين	٧٧
لماذا سجنوها	٧٩
بضفيرة شعرها نصرت أمتها	٨٣
كانت سبباً في قيام الدولة السعودية	٨٦
باعت بقرتها لتبني مسجد القرية	٨٨
براتبها بنت مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم	٩٢
الفصل الثالث: أمثلة رائعة ومواقف مثيرة	٩٤
تسر الناظرين	٩٤
صادقة التوكل	٩٦
حارسة القرآن	١٠٢
امرأة تغلب فطاحلة الرجال	١٠٤
أم الدحداح الأنصارية	١٠٨

أم المساكين	١١١
زبيدة الخير (أم العزيز)	١١٣
أول معلمة في الإسلام	١١٧
يخجل المجد من أصالتها	١١٩
من صور الحب الرائعة	١٢٣
إيمان وبطولة نادرة	١٢٨
صاحبة الوصية المشهورة	١٣١
أميرة تحدت الأمراء	١٣٣
ملكة البيان	١٣٤
المرأة العصرية	١٣٦
الفصل الرابع: أفنان وأفنان	**١٣٨**
همة تناطح السحاب	١٣٨
العفيفة	١٤٠
حرارة اللقاء	١٤٢
اللوامة تجنى الندامة	١٤٤
امرأة يرغبها الرجال الناجحون	١٤٥
تلد زوجها مرة ثانية	١٥٧
المشاركة في صنع الهدف	١٦٢
قصة ولا أروع	١٤٩
تشاطر زوجها فرحه بالعمل الرائع	١٥٢
دعت لابنها فَرُدَّ بصره	١٥٧
قادت زوجها الساحر إلى نور الإيمان	١٦٢

أبصرت بعد العمى	١٦٤
المرأة المثالية في أعين الرجال	١٦٧
معاً على حلو الحياة ومرها	١٦٨
الناجحة في كسب قلب زوجها	١٦٩
لم تغضب زوجها قط	١٧٠
غربيات لا يبغين بالإسلام بديلاً	١٧٣
غربيات يصرخن	١٧٧
أي الطريقين تختارين	١٨٤
الخاتمة	١٨٥
المراجع والمصادر	١٨٧
فهرس الموضوعات	١٨٩

المؤلف في سطور

- إبراهيم بن محمد صالح الزبيدي
- ماجستير شريعة . تخصص فقه . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة بالرياض
- معلم بإدارة التربية والتعليم وعضوالدعوة والإرشاد المتعاون بوزارة الشؤون الإسلامية وعضو الجمعية الخيرية لصعوبات التعلم والمشرف العام على موقع طريق العزة .
- تلقى العلم على يدي ثلة من العلماء الأخيار وعلى رأسهم
الشيخ العلامة / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله
الشيخ العلامة / عبدالله بن جبرين رحمه الله
الشيخ العلامة / صالح الفوزان
الشيخ العلامة / عبد العزيز الراجحي
الشيخ العلامة الأستاذ الدكتور / ناصر بن سليمان العمر
الشيخ الدكتور / عائض القرني
الشيخ الدكتور / سعد الحجري وغيرهم من أهل العلم .
- شرح عددا من الكتب ككتب الشيخ / محمدبن عبد الوهاب رحمه الله
الأصول الثلاثة وكشف الشبهات والقواعد الأربع وكتاب التوحيد وكتب العقيدة الوسطية والرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية العمدة في الفقه لأبن قدامه وزاد المستقنع وتفسير ابن كثير وغيرها .
- حصل على برقية شكر وتقدير من مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله ، وعددمن شهادات الشكر والتقدير من عدد من المسؤولين ، في مقد متهم وزير الشؤون الإسلامية السابق الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي ووزير التربية والتعليم وبعض الوزراء والمسؤولين .
- له مشاركات عديدة في كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، وله عدد من المؤلفات ومنها : كتاب نساء منسيات . الاستخارة والاستشارة . ياحسرة من لايصلي . الهمة العالية . نساء من ذهب.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٠-٦٨٣٧-١

مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦